مشروع القرن الثقافى

روايات مصرية للجيب

فى كل رواية متعة دائمة

حالات خاصة

مذكرات طبيب نفسى ،
يصارع للحفاظ على حياته ،
والحفاظ على سلامة عقله .

حالة السائرين نيامًا

9

Looloo
www.dvd4arab.com

محمد رضا عبد الله

مقدمة

من منا لم يحتج إلى شخص يتكلم إليه بحرية فينصت له باهتمام ؟ من منا لم يحتج إلى أخ ليشاركه همومه ومشكلاته ؟ من منا لم يحتج إلى صديق مخلص يسدى إليه النصيحة ؟ من منا لم يحتج إلى طبيب نفسى ؟

أعرفكم بنفسى .. د. (ياسين العوضى) .. استشارى الطب النفسى وعضو الاتحاد العالمى للصحة النفسية .

ستلتقون معى فى كل عدد مع حالة نفسية كنت أعالجها وكانت لى جلسات معها .. ستعتادون على هذه الجلسات العلاجية .. وربما تدمنونها ..

إن النفس البشرية أعقد من أن نفهمها على مر العصور .. وهذه السلسلة هى محاولة متواضعة لتأكيد هذا المضمون .

بالنسبة لاسم السلسلة فأنا أرى أنه مناسب ؛ لأنى أتحدث عن حالات خاصة بالفعل .. ولأن معظم أبطال هذه الحالات أبطال يبدءون حديثهم بجملة : « أنا حالة خاصة جدًا يا دكتور » .. وكأنهم جاءوا ليدهشونى فقط ، وليس أملاً فى الشفاء ..

www.dvd4arab.com

سنتعرف ــ بإذن الله ــ من خلال هذه السلسلة على الأمراض النفسية .. سنتكلم عن الأعراض العضوية والأعراض النفسية .. ونتناقش فى طرق العلاج ..

سنتحدث عن الهلاوس .. هل تسمع هذا الصوت المخيف ؟ هل ترى هذه الفتاة العرجاء ؟ هل تشم هذه الرائحة الزكية ؟ هل تجلس بجوارى الآن ؟

سنحاول تفسير أحلامنا بوجهة نظر نفسية .. سنجيب سؤال : لماذا حلمنا بذلك ؟

سنحلل العقد النفسية .. من هو (أوديب) Oedippus هل سمعت عن (إلكترا) Electra ؟

سنسألك عن الفوبيا (Phobia) ؟ هل قرأت عن البارانويا (Paranoia) ؟ هل تعرف شيئًا عن الهيسيريا (Hysteria) ؟

هل تعانى من الوسواس القهرى ؟

هل تتحدث أثناء نومك ؟ هل تسير أثناء نومك ؟ هل تنام بكثرة ؟ لماذا لا تستطيع النوم ؟

سنتأمل الحيل الدفاعية .. لماذا نمارسها بكثرة ؟ هل هى صحية ؟

وسنعرف الكثير عن الصراعات النفسية .

سنتساءل فى حيرة : من أنت ؟ هل (أنت) كما ترى نفسك ؟ أم (أنت) كما تريد أن تكون ؟ أم (أنت) كما يراك الآخرون ؟ أم (أنت) شخص آخر ؟

ستكتشف أنك لست وحيدًا .. هناك (الأنا) و(الهو) و(الأنا الأعلى) .

ستعرف كيف تتعامل مع الآخرين ؟ كيف تفهم الآخرين ؟.. وقبل كل ذلك سنساعدك لكى تفهم نفسك ؟

أيكفى ما قلته ليكون مقدمة ؟ فلنبدأ القراءة إذن .. ولكن مهلاً ..

يجب أن تعلموا من البداية أننى لن أستخدم الأسماء الحقيقية للمرضى ؛ لأنه لا يجب أن أصرح باسم الحالة ..

إن الطبيب النفسى يجب أن يحافظ على أسرار مرضاه وعلى شرف مهنته كأى طبيب آخر ..

و ... كأى صاحب مهنة أخرى .

د. ياسين العوضى

Looloo
www.dvd4arab.com

1 ـ حالة دفاع عن النفس ..

سمعت طرقات هادئة على الباب .. ثم رنين الجرس .

لابد أنه هو ..

المهندس (عزيز شعبان) ..

أسرعت نحو الباب لأفتحه قبل أن يغير رأيه ويرحل .

قال لى بمجرد أن رآنى :

ـ ما هو الأمر الخطير الذى طلبتنى من أجله ؟

ابتسمت بصعوبة وقلت له :

ـ أهلاً يا (باشمهندس) .

أفسحت مجالاً لدخوله وقلت فاردًا ذراعى إلى داخل شقتى :

ـ تفضل .. أنت ضيفى .. لن نتحدث على الباب .

عقد ذراعيه أمام صدره وقال بلهجة حاسمة :

ـ لن أدخل .. وأخبرنى الآن ما هو الأمر الخطير الذى طلبت منى أن أزورك من أجله .

أمسكت ذراعه لأشجعه على الدخول وقلت بلهجة ترحاب :

ـ لن يصح هذا .. تفضل يا (باشمهندس) .

تملص منى بصعوبة وقال بلهجة حادة :

ـ لن أدخل .

اختفت ابتسامتى تمامًا وهو يقول :

ـ لست مطمئنًا لك .. منذ قابلتك أول مرة وحتى هذه اللحظة .

ـ وما الذى دفعك للمجىء هنا الآن ؟

ـ أنت اتصلت بى و طلبت هذا منى .

ـ أعلم .. ولكن كان بإمكانك تجاهل ما قلته وعدم المجىء .

صمت للحظات ثم قال :

ـ إنه الفضول اللعين .. حديثك كان مريبًا .. لقد أخبرتنى أن هناك أمرًا خطيرًا جدًا ولا يمكنك أن تخبرنى به إلا هنا .. ظللت أفكر فى هذا الأمر الخطير .. وللأسف لم أستطع تخمينه .. فجئت لأريح نفسى من التفكير .

ابتسمت ابتسامة شيطانية وقلت :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ حسنًا .. وإذا غادرت الآن ستظل طول عمرك تتساءل عن هذا الأمر الخطير .. أما إذا دخلت فسوف تعرف كل شيء .

تحركت من مكانى للداخل وقلت :

ـ الخيار لك .. إما الدخول أو الانصراف .

قال وهو يعدل من وقفته :

ـ لا أعتقد أن الفضول سيقتلنى .. وفى نفس الوقت أشك فى مسألة الأمر الخطير هذه .

وشعرت أنه قرر الانصراف بالفعل .. ففكرت بسرعة وقلت مستغلاً مهارتى فى جذب الانتباه والتى تعلمتها من خبرتى الطويلة فى حياتى العلمية والعملية :

ـ الأمر الخطير يخص (نادين) .

توقف مكانه .. لقد نجحت فى جذب انتباهه .. أكملت :

ـ ... زوجتك .

لم يحسم أمره بعد .. لابد من المزيد فقلت :

ـ يمكنك الانصراف إذا كنت لا تهتم بالأمر .. ولن أخبرك به أبدًا .. أما إذا كنت تريد معرفته فلتدخل الآن ولن آخذ من وقتك الكثير .

حسم أمره أخيرًا واتجه نحو الباب .. لقد غلبه الفضول تمامًا .. ابتسمت وقلت لأطمئنه :

ـ فقط دقائق معدودة .

وفى خلال دقيقة .. دخلت إلى إحدى الغرف ثم عدت منها .. سألنى بفضول عند عودتى وكان جالسًا على أحد المقاعد :

ـ أخبرنى الآن .. ما هو الأمر الخطير ؟ ولماذا دخلت هذه الغرفة ؟ ما الذى أحضرته منها ؟

أخرجت مسدسًا من جيبى على الفور وقلت بهدوء قاتل :

ـ الآن نتحدث .

* * *

اتسعت عينى المهندس (عزيز) من الفزع وارتجف جسده كله وصرخ قائلاً :

ـ ما هذا ؟

ابتسمت ابتسامة شيطانية وقلت ببساطة :

ـ إنه مسدس .

Looloo
www.dvd4arab.com

قال والخوف يشع من حروف كلماته :

ـ أعرف أنه مسدس .. ولكن لماذا ؟

قلت بكل غضب :

ـ ألا تعرف لماذا ؟

نهض من مقعده بكل ذعر .. أكملت قائلاً :

ـ لقد تزوجت (نادين) .. ألا تعرف ما الذى تمثله (نادين) لى ؟

ـ ..... .

ـ (نادين) هى أجمل قصة حب عشتها .. (نادين) هى الابتسامة .. الفرحة .. السعادة .. (نادين) هى كل حياتى .. (نادين) هى كل شىء بالنسبة لى .

صوبت فوهة المسدس نحوه وقلت :

ـ أما أنت ..

اقتربت منه وقلت بكل غضب :

ـ فلقد أخذت كل حياتى .

قال وهو يضرب رأسه بقبضة يده :

ـ كنت أشك فيك .. أنا غبى .. أنا غبى .. ما الذى جعلنى آتى إلى هنا ؟.. إنه الفضول اللعين .

قلت له بكل غضب :

ـ لا .. إنه حظك اللعين .. لأنك خطفت حبيبة قلبى (نادين) .. تزوجتها .

التقطت نفسًا عميقًا وزفرته بعنف وقلت :

ـ تزوجت خطيبتى .

قال بكل سماجة :

ـ لم أكن أعلم أنها خطيبتك .

صحت قائلاً :

ـ لكنى أخبرتك .

حاول الابتسام لتهدئتى وقال :

ـ هى نفسها لا تعلم أنها خطيبتك .

أجبته ببساطة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ لقد نسيت .

نظر للمسدس وقال بخوف :

ـ أنت مجنون .

أجبته بكل صدق :

ـ مجنون بها .. مجنون (نادين) .

اقتربت منه أكثر .. فقال بذعر :

ـ ما الذى تريده منى ؟ هل تريدنى أن أطلقها ؟.. أنا موافق على ذلك .. أنا لا أريدها .. سوف أطلقها لتتزوجها أنت .

صحت بغضب :

ـ تطلقها بهذه البساطة !!.. لماذا تزوجتها إذن ؟!

ـ أنا سوف أطلقها من أجلك .

لوحت بالمسدس يمينًا ويسارًا وقلت :

ـ أنت لا تحبها .

قال بعناد :

ـ لا .. بل أحبها .. ولكنى سوف أطلقها لأنه من الواضح أنك تحبها أكثر منى .

هززت رأسى قائلاً :

ـ أنت لا تحبها على الإطلاق .. فلو أنك تحبها لتمسكت بها ولن تفرط فيها أبدًا .

ـ ..... .

ـ لو أننى مكانك وتزوجت (نادين) فلن أطلقها أبدًا حتى لو وضعوا فوهات مدافع على رأسى .. لا لا لا .. أنت لا تحب (نادين) .. لا تحبها على الإطلاق .

قال بغضب :

ـ لا .. بل أحبها .. ولن أطلقها .. حتى لو وضعت مائة مسدس على رأسى .

قربت فوهة المسدس منه فقال بذعر :

ـ سأطلقها .. كما تريد .

أبعدت المسدس عنه فقال مبتسمًا ابتسامة صفراء :

ـ سوف أذهب إلى المأذون الآن وأطلقها .

Looloo
www.dvd4arab.com

سألته بهدوء :

ـ ومن يضمن لى أنك ستفعل ذلك ؟

ـ أقسم لك .

ـ لا أصدقك .

قال بيأس :

ـ ما الذى تريده ؟

رفعت يدى الممسكة بالمسدس .. فقال بذعر :

ـ لا تقتلنى أرجوك .. أرجوك .

ـ ..... .

ـ لن تستفيد شيئًا من قتلى .. سوف تدخل السجن .. ولن تتزوج (نادين) أبدًا .. فهى لن تتزوج من الذى قتل زوجها .

فاجأته قائلاً :

ـ ومن قال أنى سأقتلك ؟

قال متعجبًا :

ـ لماذا أحضرت المسدس إذن ؟

أعطيته المسدس وقلت بابتسامة لطيفة :

ـ لكى تقتلنى .

* * *

أمسك المسدس وقال بكل دهشة :

ـ ما هذا ؟!

قلت له بكلمات يغمرها الحزن الشديد :

ـ اقتلنى .. لم أعد أريد الحياة .. الحياة لم يعد لها أى طعم أو لون أورائحة .. الحياة دون (نادين) ليست حياة .. إنى أفضل الموت الآن .

لوح بالمسدس قائلاً :

ـ هل تريدنى أن أقتلك حقًا ؟

قلت له دون تردد :

ـ نعم .

فكر للحظة .. يبدو أنه لم يصدقنى فقد سألنى :

ـ أتريد الموت حقًا أم إنك تقول ذلك لكى تقنعنى بتطليقها من أجلك ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

قلت بحسرة :

ــ لا .. أنا أريد الموت بالفعل .. (نادين) لم تعد لى .. لقد صارت زوجتك .. وحتى لو طلقتها لن أستطيع الزواج منها .. كيف أتزوج من فتاة لا تعرفنى ؟!.. سترفضنى إذا تقدمت لها الآن .. لقد نسيتنى تمامًا .. نسيت حبنا .. نسيت ذكرياتنا .. بل أعتقد أنها تكرهنى الآن .. تكره رؤيتى بعد أن كانت تكره اليوم الذى لا ترانى فيه .

يبدو أنه صدقنى أخيرًا فقد سألنى باهتمام :

ــ هل كانت خطيبتك حقًا ؟

أجبته على الفور :

ــ نعم .. ولكنها لم تعد تتذكر هذا الآن .

مد يده بالمسدس لى وقال :

ــ أنا لن أقتلك .

سألته مندهشًا :

ــ لماذا ؟

ــ ولماذا أقتلك ؟

ــ لأنى أريد ذلك .

أراد تقمص دور الطبيب النفسى أو حكيم الزمان وقال :

ــ لا داعى من التفكير فى الانتحار .. بالتأكيد ستجد فتاة أخرى تستحق حبك هذا .

قلت له بكل ثقة :

ــ لا .. لن أحب أحدًا آخر .

تخلى عن دور الناصح الطيب .. وتقمص دور الناصح الشرير وقال :

ــ حسنًا .. إذا كنت مصممًا على الانتحار هناك ألف طريقة لذلك .. يمكنك إلقاء نفسك الآن من النافذة .. ستموت فى خلال ثوان .. يمكنك أيضًا الوقوف أمام سيارة سريعة أو قطار مثلاً .. أو تناول سُمًا أو اربط حبلاً فى السقف و...

قاطعته قائلاً :

ــ لا .. أريدك أن تقتلنى الآن .. وبهذا المسدس .

Looloo
www.dvd4arab.com

صاح بلهجة غاضبة :

ــ لماذا أنا بالذات ؟.. فلتمسك بالمسدس بقوة ثم صوبه ناحية رأسك واضغط الزناد .. باااااام .. مُت فى الحال .

ــ لا .. اقتلنى أنت .

صاح غاضبًا بكل دهشة :

ــ هل اتصلت بى لكى آتى هنا وتطلب منى أن أقتلك ؟

ــ نعــم .

ــ لو أننى أعرف ذلك ما كنت أتيت من الأساس .

ــ ولكنك جئت .. ولن تخرج من هنا قبل أن تقتلنى .

ثم أخرجت مسدسًا آخر من جيبى وصوبت فوهته ناحية رأسه فصاح محتجًا :

ــ ما هذا ؟.. مسدس آخر !

اقتربت منه وقلت بلهجة صارمة :

ــ هيا .. نفذ ما آمرك به .. اقتلنى فورًا .

ضحك قائلاً :

ــ هل تهددنى لأقتلك ؟

ــ نعــم .

سألنى مندهشًا :

ــ ولماذا لا تقتل نفسك ؟.. لديك مسدسان وربما هناك ترسانة من الأسلحة .. أعتقد أنك لا تعانى من انعدام الوسيلة .

ابتسمت ابتسامة مخيفة وقلت :

ــ ستقتلنى أنت .. حتى تدخل السجن .

قال بخوف :

ــ لماذا تريد إدخالى السجن ؟

قلت بغيظ :

ــ ولماذا تزوجت خطيبتى ؟

صاح بغضب :

ــ لم أكن أعلم أنها خطيبتك .

لوحت بالمسدس بعصبية وقلت :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ هذا ليس وقتًا للنقاش .. ستقول أنك لم تكن تعلم .. هى لم تعد تعلم .. فى النهاية أنت تزوجتها وأنا صرت وحيدًا للأبد .. لذا فالحل هو أن أموت وتدخل أنت السجن .. أو تُعدم .. وفى هذه الحالة نكون متعادلين .. لم ينعم أحدنا بالحياة مع (نادين) .

تأمل نظراتى المريبة وقال بتوتر :

ـ أنت مجنون .

ألقى المسدس بعيدًا وقال :

ـ لن أجاريك فى هذا الجنون .. أنا لن أقتلك .

قلت له بغضب :

ـ اقتلنى وإلا ...

قاطعنى قائلاً بسخرية :

ـ ماذا ؟ هل ستجبرنى على قتلك ؟

أجبته بثقة :

ـ نعم .

سألنى متعجبًا :

ـ كيف ؟

ـ هناك سيناريو آخر .. أقتلك أنا .. تموت أنت وأدخل أنا السجن أو أهرب بعيدًا عن مصر .. ونفس النهاية : لن يحصل أحدنا على حياة سعيدة مع (نادين) .

فكر المهندس قليلاً ثم نظر إلى المسدس فقلت له محاولاً إقناعه :

ـ الخيار لك .. أموت أنا أو تموت أنت .

انحنى المهندس والتقط المسدس وصوبه ناحيتى قائلاً :

ـ أنت اضطرتنى إلى ذلك .

قلت له ساخرًا :

ـ وأنت اضطرتنى إلى ذلك .

و ضغطت الزناد ..

الرصاصة الأولى ..

صرخ المهندس من الألم والدماء تسيل بغزارة من بطنه وهو يسألنى غاضبًا مندهشًا :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ لمـــاذا ؟

قلت وأنا أبتسم ابتسامة شيطانية :

ـ سيناريو ثالث .. أنت هاجمتنى فى منزلى وحاولـــت قتلـــى بالمسدس بعد أن شككت بوجود علاقة بينى وبـــين زوجتـــك .. حاولت الدفاع عن نفسى فأخرجت مسدسى وأطلقـــت الرصـــاص عليك .

أطلقت رصاصة أخرى نحوه .. فسقط أرضًا وهو لا يزال يتألم .

أكملت قائلاً :

ـ سيجد رجال الشرطة المسدس فى يدك وعليه البصمات .. أنت فى شقتى وهذا الأمر لصالحى ولهذا اتصلت بك لتأتى هنا .. إن خيوط الجريمة ستكون واضحة للمحققين .. إنها جريمة زوج شكاك أراد الانتقام لكنه فشل .. أما أنا فسأقول أنى قتلتـــك فـــى حالة دفاع عن النفس .

اقتربت منه وقلت :

ـ وقتها سأحصل على البراءة .

و ... رصاصة ثالثة .

اقتربت منه أكثر وأكملت :

ـ وقد أتزوج (نادين) ..

فوجئت به يلتفت نحوى وأنا أكمل قائلاً :

ـ .. الأرملة .

هنا لمحت المسدس الذى لا يزال فى يده وهو يصوبه نحـــوى بدقة شديدة قائلاً :

ـ لن يحدث هذا .

وانطلقت الرصاصة نحوى ..

أمام عينى .

مباشرة .

الحمد لله أنى استيقظت من الحلم فى هذه اللحظة ..

كثير من العلماء يؤكدون أن الشخص إذا مات فى الحلم مـــات فى الواقع ولهذا نستيقظ دائمًا قبل وصولنا لـــلأرض فـــى حلـــم السقوط ..

كان كابوسًا شنيعًا ..

Looloo
www.dvd4arab.com

نظرت إلى النتيجة المعلقة على الحائط ..

نظرت إلى تاريخ اليوم ..

لقد مر أكثر من شهر على زواج (نادين) ..

خطيبتى السابقة ..

لا أصدق أن شهرًا كاملاً قد مر على زواجها .. شهر مرير حزين مؤلم .

نهضت من سريرى لأبدأ يومى .. ولكنى رأيت أمامى ما أثار الرجفة فى ضلوعى .

ما هذا ؟!

كانت فى انتظارى مفاجأة ..

مفاجأة مريبة .

* * *

2 ـ ضيف غير مرغوب فيه ..

منذ شهر تقريبًا ..

فى يوم الخميس .. الساعة العاشرة والنصف مساء .

المكان : قاعة أفراح فى فندق خمس نجوم .

العروس هى (نادين) .

تجلس فى الكوشة بأبهى وأجمل وأحلى صورة ، ترتدى فستانًا أبيض جعلها تبدو كملاك .. كانت السعادة تطل من عينيها الجميلتين ، تنثر ابتساماتها الرائعة على المعازيم أمامها ، تتأبط ذراع عريسها بكل حب وحنان .. تتمسك به بقوة كأنها تخشى أن يفلت منها .

يبدو أنها تحبه بجنون .

ينظر العريس لها بكل حب .. ويحتضن يدها الرقيقة بيده ثم يرفعها لشفتيه ليطبع قبلة هادئة قصيرة عليها ، فتبتسم له ابتسامة عذبة جميلة ، وتنسى ما حولها أثناء نظرها إلى عينيه ، ثم تنتبه إلى صديقاتها اللاتى اندفعن نحوها ليجذبوها لكى ترقص معهن .

www.dvd4arab.com

نهضت من مقعدها وراحت ترقص بخجل على موسيقى أغنية (عمرو دياب) الجديدة .. وتردد كلماتها معه .. وقد اندمجت فى الرقص مع صديقاتها المقربات .. ثم ضحكت لأمها التى كانت تصفق بسعادة شديدة وتحاول جاهدة منع دموع الفرحة من السقوط من عينيها ثم أطلقت زغرودة طويلة بكل طاقتها .

أشارت (نادين) إلى عريسها لكى ينهض ويشاركها الرقص قبل أن تنتهى أغنيتها المفضلة .

نهض عريسها بسرعة تلبية لندائها فهو لا يستطيع أن يتأخر عنها ..

رقصت معه بكل سعادة وقد نسيت نفسها تمامًا بين أحضانه .. عندما بدأت أغنية أخرى ولكن هذه المرة لـ (محمد منير) .

كنت أراها من بعيد .. أقف فى مكان لا تستطيع أن تلمحنى فيه .. لا أريد أن يلمحنى أحد فأنا بالنسبة للجميع ضيف غير مرغوب فيه .

أقف بعيدًا عن الأضواء القوية والموسيقى الصاخبة والزغاريد العالية والمعازيم السعداء .. كنت أقف بصعوبة .. أحاول التماسك حتى لا أسقط أرضًا .. أضع يدى على قلبى الذى يصرخ ألمًا فأكتم صيحاته المعذبة حتى لا تعلو على صوت الفرح .

لا أصدق ما أراه أمامى ..

لا أصدق أنى أرى حبيبة قلبى عروسًا لغيرى .

هذا ليس حلمًا أو هلوسة .

ليته كذلك !

هذا واقع مرير .

لم أكن العريس فى تلك الليلة .

كان العريس هو ..

المهندس : عزيز شعبان .

لقد حطمت (نادين) قلبى .. لا لم تحطمه فقط .

لقد حطمته بعنف ثم جمعت حطامه وطحنتها بشدة ثم وضعتها فى إناء وأحرقتها ثم جمعت الرماد وأذابته فى ماء ثم عرضته للشمس وبخرته .

لقد فعلت كل ذلك دون أن تدرى أنها كانت تحبنى بجنون .. لا تعلم أنها قد هجرت أحب الناس إلى قلبها .. لا تصدق أننى كنت خطيبها السابق ..

لا تتذكر شيئًا عنى .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

3 ـ بعد زواج (نادين) ..

سأكتفى بما قلته فى الفصل السابق ..

كنت أنوى كتابة مئات الصفحات عما حدث لى فى تلك الأيام الصعبة .. لكنى تراجعت عن الفكرة ..

لا داعى من ذكر تفاصيل هذه الأحداث المريرة التى تبدأ من المكالمة التى أجريتها مع (نانسى) صديقة (نادين) .. والتى عرفت منها خبر زواج الأخيرة من المهندس (عزيز شعبان) ..

ذلك الرجل الذى رأيته لأول مرة عندما كنت أتحدث مع (نادين) فى الشارع وأحاول جاهدًا أن أذكّرها بنفسى .. رآنى فاعتقد أنى أعاكسها .. فقام بدور البطل الشهم أمامها .. وتشاجر معى من أجلها .. يبدو أنها قد وقعت فى غرامه منذ ذلك الحين .

لابد أنه قد أعجب بها .. فتقدم لأمها ليطلب يدها .. طبعًا وافقت على الفور لأنها تريد أى عريس لابنتها غيرى .. أما (نادين) فقد وافقت لأنها قد نسيتنى تمامًا .. نسيت خطيبها السابق .. نسيت حبيبها .

والسبب فى ذلك أمها ..

أمها التى تكرهنى بشدة لأسباب كثيرة ـ لا داعى من ذكرها فأنتم تعرفونها من الأعداد السابقة ـ أخذتها لذلك الطبيب النفسى الشهير د.(نجيب الشاروى) ـ رحمه الله ـ الذى جعلها تنسى كل شىء يخصنى .. أقصد (نادين) وليس أمها .

أمها لا تزال تتذكرنى جيدًا أما (نادين) فقد نسيتنى تمامًا .. ليت العكس هو الذى حدث .

ماذا لو أن أمها هى التى نسيتنى ونسيت كراهيتها لى ؟ كنت سأتقدم من جديد وأتزوج (نادين) .

لكن هذا لم يحدث .. لسوء الحظ .

و ... تزوجت (نادين) من رجل آخر .

لا داعى أيضًا من ذكر تفاصيل مؤلمة مثل صدمتى الشديدة عند سماع الخبر وتأكدى أنه صحيح .. وليس كذبة من (نانسى) .. ليته كان كذبة !

لن أحكى لكم عن إصرارى على معرفة موعد الفرح .. وعن رغبتى المريبة فى حضوره .

Looloo
www.dvd4arab.com

كتب الكتاب كان فى نفس يوم مكالمة (نانسى) .. أما الفرح كان بعدها بأربعة أيام .

سأكتفى بما قلته فى الفصل السابق ولن أذكر تفاصيل أخرى عن الفرح .. فرح خطيبتى السابقة و حبيبة قلبى (نادين) وهى تُزف إلى شخص آخر غيرى .

مأساة !

لن أقول حرفًا آخر .. أعتقد أنكم تقدرون مشاعرى فى تلك الأيام .

ذهبت لصديقى د. (صقر الشاذلى) الطبيب النفسى والخبير بالتنويم المغناطيسى .. وطلبت منه أن يمحى (نادين) تمامًا من ذاكرتى .. حتى يوقف معاناتى .

لكنه رفض بشدة .. لأسباب طبية ونفسية واجتماعية .

ليته فعل مهما كانت النتائج !

ليته خلصنى من كل ذكرياتى معها .. الذكريات التى ستظل تطاردنى أيامًا وليالى طويلة .. كأشباح من الماضى .

ليتنى أنسى (نادين) كما نسيتنى !

سوف أختصر لك عزيزى القارئ ولن أحكى لك عن حالة الاكتئاب الشديدة التى مررت بها فى تلك الأيام .. سوف أكتفى بما قلته حتى الآن .

لا أعتقد أنك بحاجة لقراءة تفاصيل مؤلمة كهذه قد تجعلك حزينًا بعض الوقت .. ولا أعتقد أنك تريد قضاء وقتك فى قراءة مأساتى .. لا أعتقد أنك تريد أن تضيع صفحات هذه الرواية فى سرد تفاصيل معاناتى من جراء زواج حبيبة قلبى .. فأنت بالتأكيد تنتظر حالة جديدة أحكى عنها .

إذن لماذا لا نبدأ على الفور ؟

* * *

فى العيادة ..

قلت لـ (وائل) الممرض وأنا أجلس خلف مكتبى :

ـ أدخِل أول حالة .

نظر (وائل) لى بتمعن وقال :

ـ كيف حالك الآن يا دكتور ؟

قلت بغيظ :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ أنا بخير يا (وائل) .

سألنى بقلق :

ـ ما بك يا دكتور ؟

كتمت غيظى هذه المرة وقلت مبتسمًا :

ـ لا شىء .

سألنى مجددًا :

ـ هل أنت بخير ؟

حاولت الاحتفاظ بابتسامتى وأجبته بهدوء :

ـ نعم يا (وائل) .

ـ هل أنت متأكد أنك بخير ؟

قلت بغضب :

ـ نعم يا (وائل) .

ـ هل أنت غاضبًا ؟

أجبته على الفور :

ـ نعم يا (وائل) .

سألنى منزعجًا :

ـ لماذا يا دكتور ؟

انفجرت فيه قائلاً :

ـ لأنك أصبحت تسألنى نفس السؤال عشر مرات فى الدقيقة .. منذ دخولى العيادة وأنت تسأل (كيف حالك ؟ هل أنت بخير ؟ هل أنت متأكد أنك بخير ؟ كيف حالك الآن ؟ هل مازلت بخير ؟ هل أنت بخير أم لا ؟ ألا تزال بخير ؟ كيف حالك الآن ؟) .. نعم يا (وائل) .. نعم أنا بخير .. الحمد لله .. لقد تجاوزت الأزمة وأنا بخير الآن .. شكرًا جزيلاً على اهتمامك وسؤالك عن حالتى النفسية عشرات المرات .. وأرجوك ألا تسألنى مجددًا عنها .

ظل (وائل) صامتًا للحظات ثم قال :

ـ آسف يا دكتور .. كنت فقط أريد الاطمئنان على الـ .. آسف .. لن أسألك مرة أخرى .. آسف .

شعرت أننى ضخمت الموضوع ولم يكن هناك داع لكل هذا الصياح .. أخذت نفسًا عميقًا ثم زفرته .. هدأت قليلاً ثم قلت :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ آسف يا (وائل) .. لا تغضب منى .

ابتسم بصعوبة وقال :

ـ لا .. لا .. أنا مقدر حالتك يا دكتور .. لا داعى للاعتذار .. بل أنا الذى أعتذر إن كنت قد سببت لك أى ضيق .

حاولت الابتسام وقلت :

ـ حسنًا .. أدخل أول حالة .

قال (وائل) :

ـ كيف حالك الآن يا دكتور ؟

التفت إليه .. رأيت ابتسامته الخبيثة فضحكت على الفور .. كان يمزح معى .. ثم انصرف ليُدخل أول حالة فى هذا اليوم ..

وكانت .. السيدة (إنعام) .

* * *

ما الذى يمكن أن أقوله عن السيدة (إنعام) ؟

سيدة فى الأربعينيات من عمرها .. سمراء .. متوسطة الجمال .. متوسطة الطول .. أنيقة .. رشيقة .. مممم .. هل هناك شىء آخر تريدون أن تعرفوه عنها ؟

اسألونى إن كنت قد نسيت شيئًا مهمًا .. فأنتم تعلمون جيدًا أننى سيئ فى وصف الهيئة الخارجية .. لكننى بارع فى وصف النفس الداخلية .

بمجرد دخول الحالة الغرفة يبدأ عقلى فى تسجيل بيانات تفصيلية عن حالتها النفسية .. يقوم بتحليل كل كلمة تقولها .. كل حركة تقوم بها .. تفسير لغة جسدها .. ترجمة مشاعرها .. تحليل نظرات عينيها .. أنفاسها .. حركات أصابعها .. ملابسها .. اختيارها للألوان .. طريقة سيرها .. إلخ .. كل شىء .. وهكذا يتكون ملف كامل فى ذهنى عن كل حالة أعالجها .. فإذا أردتم وصف نفسى تفصيلى عن السيدة (إنعام) .. فلن تكفى صفحات هذه الرواية .

سألت السيدة (إنعام) بعد استرخائها على الشيزلونج :

ـ هل أنت متزوجة ؟

ـ نعم .

ـ هل عندك أولاد ؟

ـ لا .

صمتت للحظات ثم أردفت بحزن :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ كان عندى واحد لكنه مات .

سجلت هذه المعلومات فى المفكرة الصغيرة التى أحملها .. وعندما رفعت رأسى رأيت الحزن طغى على ملامح وجهها .. يبدو أنها قد تذكرت ابنها المتوفى .. سألتها السؤال المعتاد لكى نبدأ الجلسة :

ـ مم تشتكين ؟

التقطت نفسًا عميقًا ثم زفرته وقالت بحسرة :

ـ أنا حالة خاصة جدًا يا دكتور .

لم أهتم كثيرًا بالجملة الافتتاحية المعتادة التى أسمعها من معظم المرضى تقريبًا .. وكأنهم لا يستطيعون بدء حديثهم دونها .. ولقد اعتدت سماعها لدرجة أنى أشعر بشىء من الغرابة عندما لا أسمعها من أى حالة جديدة .

كان محور اهتمامى هو الجملة التالية التى ألقتها على مسامعى كأنها تخبرنى بكارثة :

ـ أنا أسير أثناء نومى .

* * *

4 ـ حالة سرنمة ..

لم يكن الأمر كارثة بالنسبة لى أو حتى غريبًا .. فلقد قابلت حالات كثيرة جدًا تسير أثناء نومها .. هذا ليس شيئًا جديدًا بالنسبة لى كطبيب نفسى .. أقابل فى حياتى المئات من الأمور النفسية العجيبة والحالات الخاصة جدًا .

والسير أثناء النوم اضطراب شائع من اضطرابات النوم .. أما بالنسبة للسيدة (إنعام) فالأمر كان كارثة بالنسبة لها على أقل تقدير .

سألت السيدة (إنعام) وهى لا تزال مسترخية على الشيزلونج :

ـ متى اكتشفت أنك تسرنمين ؟

نظرت لى بصمت وعينيها تحملان علامات دهشة كثيرة كأنها سمعتنى أتحدث بلغة أجنبية غير مفهومة فقلت لها موضحًا :

ـ متى اكتشفت أنك تسيرين أثناء نومك ؟

فكرت للحظات محاولة ربط الأمور ببعضها وقالت :

ـ هل (أرنسمين) تعنى (السير أثناء النوم) ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

قمت بتصحيح ما قالته و....

ـ (تسرنمين) أى (تسيرين أثناء نومك) .. و (السرنمة) هى (السير أثناء النوم) .

ضحكت قائلة :

ـ بأى لغة هذه ؟

ابتسمت قائلاً :

ـ هل سمعت عن النحت ؟

ـ طبعًا سمعت عنه .. التماثيل والـ ...

قاطعتها قائلاً :

ـ أنا أقصد النحت(*) فى اللغة .. مثل النحت الفعلى والاسمى .. النسبى والوصفى .

(*) النَحت هو أن تعمد إلى كلمتين أو ثلاث أو الى جملة فتؤلف من بعض حروفها كلمة جديدة تكون دلالتها موافقة لدلالة ما أُخذت منه .. وهكذا نترجم كلمات مثل sleepwalking أى (السَير أثناء النوم) إلى (السَّرْنَمة) .. و surf ـــ riding أى (ركوب الأمواج) إلى (الرَكْمَجة) أى أننا نقوم بنحت كلمة من عناصر الترجمة .. لذا الفعل sleepwalk (يسير وهو نائم) أى (يُسَرنَم) واسم الفاعل منه sleepwalker أى (المُسَرنَم) .. وهكذا تصبح (حالة السائرين نيامًا) هى (حالة المسرنمين) .. ولكنى لو وضعت الاسم الأخير عنوانًا للعدد التاسع ربما لا يفهم أحد ما أقصده من العنوان .. هذا على أساس أن الجميع فهموا المقصود من الاسم الحالى .

بدا عليها عدم الفهم واضحًا جليًا عندما رأيت فمها مفتوحًا على اتساعه .

فكرت فى مثال بسيط لأشرح لها المقصود .. قلت لها :

ـ نحت فعلى .. مثل (بسملَ) .

ـ بسم الله الرحمن الرحيم .

ـ بالضبط .. هكذا قمنا بنحت فعل من لفظ جملة اختصارًا لها .. وهكذا فى (حَسبَلَ) و(حمدَلَ) و(حوقل) .

قالت لى بلهجة ساخرة :

ـ دكتور .. هل نحن فى درس لغة عربية ؟

كتمت غيظى وأعدت سؤالى :

ـ متى اكتشفت أنك تسرنم .. تسيرين أثناء نومك ؟

ابتسمت ابتسامة خاطفة وقالت :

ـ اكتشفت أنى أسرنم منذ ..

ثم استغرقت لحظات فى التفكير قبل أن تقول :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ منذ شهر تقريبًا .

ــ أتقصدين أنك لم تكتشفى أمر السرنمة إلا من مدة بسيطة ؟

قالت مندهشة :

ــ وهل الشهر مدة بسيطة ؟!

لم أجب سؤالها .. بل سألتها :

ــ متى بدأت تسرنمين ؟

ابتسمت وقالت :

ــ منذ شهر أيضًا .

لم تكتفى بقول هذه الإجابة مع الابتسامة الساخرة وإنما تابعت قائلة بذكاء نادر الوجود :

ــ وهل هناك فرق بين السؤالين ؟!

ــ طبعًا هناك فرق .. فربما كنت تسرنمين منذ طفولتك وأهلك يعرفون ذلك .. لكنهم يخبئون هذه الحقيقة عنك .. أما الاكتشاف فقد يحدث فى أى وقت .. أثناء طفولتك .. أو فى مرحلة المراهقة .. أومنذ شهر .. ولهذا أعتبر الشهر مدة بسيطة إذا قارناه بحياتك كلها .

لم تكن السيدة (إنعام) تعلم أن هناك عائلات تخبئ هذه الحقيقة عن أبنائها وربما يتركونهم حتى زواجهم دون إخبارهم .. فيأتى الزوج ويكتشف الأمر ويخبر زوجته بالحقيقة المُرة التى غابت عنها طوال سنين حياتها مع عائلتها .

وربما يعيش المسرنم مع زوجة تعلم سره ولكنها لا تخبره بالأمر حتى لا تجرح مشاعره وعندما تخبر أهله بأنها علمت بالأمر تكتشف أنهم أيضًا لا يعلمون مثل زوجها .. وهذا يضع أمامها احتمالين .. إما أنهم يكذبون .. أو أن زوجها بدأ السرنمة بعد ارتباطه بها .

وقد تبدأ السرنمة فى مرحلة الطفولة وتنتهى عند المريض دون أن يعلم أنه كان يسرنم .. ويظل الأمر سرًا دفينًا عند أسرته فقط .

قالت السيدة (إنعام) :

ــ لا يا دكتور .. أعتقد أننى بدأت أسير أثناء نومى منذ شهر فقط واكتشفت ذلك فى نفس الوقت .

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ كيف اكتشفت الأمر ؟

وقبل أن تجيبنى سمعت رنين الهاتف فقمت لأرد و...

ـ آلو .. نعم .. لا تقلق .. أنا بخير .. شكرًا يا د.(مجدى) .. لا .. لا تقلق .. الحمد لله .. ماذا ؟.. اطمئن .. لقد نسيتها .. ربما .. ولكنى على الأقل أحاول نسيانها .. شكرًا على النصيحة .. اطمئن .. معك حق .. لا .. ربما .. أول يوم لى .. نعم .. اطمئن .. أعرف .. سلام .

كان هذا هو د. (مجدى صادق) صديقى العزيز .. اتصل بى ليطمئن على حالتى النفسية فى أول يوم لى فى العيادة بعد عودتى لها .

عدت إلى مقعدى أمام الشيزلونج واعتذرت للمريضة على هذا الفاصل الهاتفى .. وقلت لها بابتسامة هادئة :

ـ تفضلى .. أنا أسمعك .. كلى آذان مصغية .

استرخت أكثر على الشيزلونج وقالت :

ـ كنت أعيش حياة سعيدة مع زوجى .. فلقد تزوجته بعد قصة حب جميلة طويلة بدأت منذ أيام الجامعة .. رأيته شابًا طيبًا طموحًا ذكيًا وسيمًا .. يشبه (حسين فهمى) و(رشدى أباظة) فى وقت واحد .

لا أعرف كيف يمكن لزوجها الجمع بين الاثنين فى الشبه .. مرآة الحب عمياء كما يقولون .. لذا هناك احتمال كبير أن يكون الشبه بينه وبينهما هو أنهم جميعًا من جنس الرجال .. تابعت قائلة :

ـ تعلقت به منذ أول يوم رأيته فيه .. يمكنك أن تقول أنه كان حبًا من أول نظرة .. ولقد أحبنى هو أيضًا .. ثم تزوجنا بعد التخرج .

وتذكرت (نادين) ..

التى تمنيت الزواج منها ..

ما هذا ؟

انساها يا قلب ..

انساها كما نسيتك .

Looloo
www.dvd4arab.com

لقد مر شهر على زواجها .. أليس من المفترض أنك نسيتها ؟.. ما الذى ذكرك بها الآن ؟.. مكالمة د.(مجدى) ؟ ربما .. سيرة الزواج ؟ ربما .. حسنًا .. انساها الآن وركز فى الجلسة .

التفتت لى وتابعت بابتسامة هادئة :

ــ كان زواجًا عن حب .. وبعد الزواج جاء ما هو أكثر من الحب .. جاء (وحيد) .

ــ (وحيد) ابنك ؟

قالت بحزن :

ــ نعم .. كان اسمه (وحيد) .

ــ وما هو اسم زوجك ؟

يبدو أنها تذكرت وفاة ابنها مرة أخرى عندما ذكرت اسمه .. شرد ذهنها فلم تنتبه لسؤالى .. فعدت أكرره .. فأجابت :

ــ (رامى) .

ــ حسنًا .. أكملى .

نظرت للسقف وقالت :

ــ كانت الحياة جميلة .. بلا أى منغصات .. نعيش كأسرة صغيرة سعيدة .. لا توجد أى مشاكل تقريبًا .. زوجى يكسب جيدًا من عمله .. وأنا أعمل أيضًا .. لم نكن نحتاج لشىء .. بصراحة كنت أحسد نفسى على هذه الحياة المثالية .. ويبدو أننى نجحت فى ذلك .. حسدت نفسى فعلاً .

صمتت قليلاً .. ثم أكملت بعد تنهيدة طويلة :

ــ بعد أن كنت أعيش حياة أجمل من التى كنت أتمناها أو حلمت بها أيام المراهقة .. أصبحت أعيش حياة تعيسة كئيبة .

ــ والسبب ؟

ــ وفاة ابنى .

ــ متى مات ؟

أجابتنى على الفور بحزن :

ــ منذ ثلاثة أشهر تقريبًا .

ودق جرس الهاتف مرة أخرى .. رفعت السماعة لأوقف صوته المزعج المستفز وقلت :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ آلو .. أهلاً ؟ كيف حالك ؟.. نعم .. أنا بخير .. لا تقلق .. صدقنى أنا بخير .. لست أول واحد تتركه خطيبته وتتزوج ..

لمحت نظرات الدهشة على وجه السيدة (إنعام) وتحولت الدهشة إلى شفقة .

أكملت حديثى مع صديقى د. (صقر الشاذلى) عبر الهاتف و...

ـ نعم .. ربما أكون أول واحد تنساه خطيبته .. تنساه تمامًا .. لكن ..

هنا عادت نظرات الدهشة إلى وجه السيدة (إنعام) .. أبعدت نظرى عنها وأكملت المكالمة :

ـ لا .. نعم .. لا .. أحاول نسيانها .. الأمر صعب ولكنى أحاول .. كان هناك حل آخر أفضل وأسهل ولكنك رفضته .. أنا أفهم أسباب رفضك .. ولكن صدقنى كنت سأستريح كثيرًا لو أنك قمت بهذه العملية لى .. عملية تنويم مغناطيسى أنسى (نادين) بعدها تمامًا .. يا للروعة !.. صدقنى هذا هو أفضل الحلول ولكنك مازلت رافضًا له .. حسنًا .. ليس أمامى حل آخر .. معك

حق .. أعرف هذه الأغنية .. نعم (... واللى ينساك انساه) .. حسنًا .. سلام يا (محمد فوزى) .

ضحكت وأنا أضع السماعة .. ثم عدت لمقعدى وأنا أقول :

ـ آسف جدًا .. كنت أمر بظروف صعبة الأيام الماضية لذا يطمئن الجميع علىّ باستمرار طوال النهار .

ـ أعلم .. لقد جئت العيادة أكثر من مرة وكنت أجدها مغلقة .. ولكنى لم أكن أعلم أن الأمر متعلق بخطيبتك .. ما الذى حدث ؟ كيف نسيتك ؟.. لا أفهم .. ولماذا تزوجت غيرك ؟ وما هو التنويم المغناطيسى هذا ؟

ـ هذا أمر يطول شرحه .. ونحن هنا الآن للاستماع إلى مشكلتك .. لا مشكلتى .

هزت رأسها دلالة على الاقتناع فسألتها :

ـ أين توقفنا فى حديثنا ؟

فكرت للحظات ثم قالت بيأس :

ـ لا أتذكر .

نظرت فى المفكرة ثم قلت لها :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ حتى الآن .. لم تخبرينى كيف اكتشفت أنك تسرنمين .

وهكذا عادت لسرد حكايتها مع السرنمة .. قالت السيدة (إنعام) :

ـ كنت أستيقظ فى الصباح فأجد نفسى فى أماكن غير التى نمت فيها .. مثلاً أجد نفسى نائمة فى غرفة (وحيد) .. على سريره .

ـ ربما أردت تغيير مكان نومك فنمت فى سرير (وحيد) ونسيت أنك فعلت ذلك ليلاً .. وربما نمت فيها من الأساس وقد غلبك النوم هناك .. هل درجة حرارة غرفته مغرية للنوم ؟ هل سريره مريحًا ؟

ـ ما علاقة درجة الحرارة بموضوعنا ؟

ـ جو غرفة النوم يؤثر على النوم بدرجة كبيرة .. فدرجة الحرارة المرتفعة أو المنخفضة تؤثر سلبًا على نوعية النوم و....

توقفت عن الحديث عندما رأيت نظرات عينيها الغاضبة .. قالت :

ـ أنا لم أكمل حديثى بعد .. فالموضوع لم يقتصر على النوم فى سرير (وحيد) .. لقد وجدت نفسى فى إحدى المرات نائمة فى المطبخ .

ـ كيف ؟

ـ ألا تصدقنى ؟.. لقد استيقظت مرة فى الصباح فوجدت نفسى نائمة على أرضية المطبخ بجوار المكنسة .

ـ هل كنت تكنسين ليلاً ونمت فجأة ؟

أجابتنى على الفور :

ـ لا .

شردت بذهنى لثوان .. فنظرت لى بذعر وسألتنى منزعجة :

ـ ماذا يا دكتور ؟ هل حالتى خطيرة ؟

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

5 ـ المرأة المسرنمة ..

أجبت على سؤال السيدة (إنعام) قائلاً :

ـ لا .. لقد كنت أفكر فى أمر ما .

سألتنى على الفور :

ـ ما هو ؟

ـ ربما تعانين من النوم القهرى(*) .

(*)إن النوم القهرى (Narcolepsy) هو أحد اضطرابات النوم المزمنة ومن أعراضه النوم المفرط طوال النهار حيث يشتكى المريض عادة من الإجهاد أو التعب والخمول طوال الوقت كما يشعر بالحاجة التى لا تقاوم إلى النوم .. ومن أعراضه أيضًا الجُمدة Cataplexy وهى نوبات مفاجئة لفقد العضلات لوظائفها وتتراوح الأعراض من ضعف بسيط فيها (مثل ترهل فى عضلات الرقبة أو الركبة أوعضلات الوجه ، أوعدم القدرة على التحدث بوضوح) وتصل إلى انهيار كامل فى الجسم ..

ومن أعراضه أيضًا الشلل النومى (Sleep paralysis) وهو ناتج عن عدم التحكم فى العضلات الهيكلية لمدة وجيزة وعادة ما يحدث عند الإفاقة من النوم مباشرة أو أثناء الوقوع فى النوم ، وبالرغم من أن الشخص يكون واعيًا لما يحيط به لا يقدر على الحراك أو الحديث .. والهلوسة النومية (Hypnagogic hallucinations) وهى حالة حيوية تشبه الحلم يصعب تفريقها عن الواقع وهى كالكابوس تحتوى على صور وأصوات لأشياء غريبة ، وقد تفسر هذه الظاهرة بأنها فى الواقع عبارة عن حلم ولكنه يأتى فى وقت مبكر جدًا من النوم أو حتى أثناء وقوع المريض فى النوم وقبل أن ينام تمامًا ، ومن هنا تكمن الصعوبة فى تفريقها عن الواقع .

لم أزعجها بذكر معلومات عن النوم القهرى ؛ لذا سألتنى :

ـ كيف ؟

ـ أعنى أنك كنت مستيقظة وذهبت إلى المطبخ ليلاً لتشربى مثلاً .. ربما كنت ظمآنة .. وفجأة سقطت على الأرض من النوم هناك .. حالة نوم مفاجئ .. نوم قهرى .. نوم لا يقاوم .

قالت معترضة :

ـ ولكنى لا أتذكر أننى ذهبت إلى المطبخ من الأساس .. وهذا يعنى أننى كنت أسير وأنا نائمة .. لا يمكن أن يأتينى النوم القهرى وأنا نائمة بالفعل .

ـ ربما نسيت أنك ذهبت إلى هناك .. احتمال .

ـ الاحتمال الآخر أننى أترنسم .. أأأ.. أرتسنم .. أرسنتم .. أرسمنر .. أسمرنر .

وعندما فشلت فى نطق الكلمة الصحيحة .. قالت :

ـ أسير أثناء نومى .

ـ وربما فقدت وعيك .

Looloo
www.dvd4arab.com

قالت بعصبية :

ـ ليست حالة نوم قهرى .. ولم أفقد وعيى .. كيف تفسر نومى فى سرير ابنى ؟.. وكيف تفسر أيضًا نومى فى البانيو ؟

ـ بانيو !

ـ نعم .. فى يوم آخر استيقظت فوجدت نفسى نائمة فى الحمّام .. رقبتى كانت تؤلمنى بشدة بسبب هذه الوضعية العجيبة فى النوم داخل بانيو .. ولم أكن أستحم حتى لا تعتقد أنى فقدت الوعى أو انزلقت قدمى أثناء ذلك .. ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد فلقد حدثت أشياء أعجب وأغرب من هذا بكثير جدًا .

(أعجب وأغرب) !! يحاول المرء غالبًا تضخيم الأمور التى تقع له إما لجذب انتباه المستمع (وهو الطبيب فى حالتنا هنا) أو لاستدرار عطف المستمع .. أو نوع من أنوع الرثاء الذاتى .. وكأنه يشعر بسعادة غامرة عندما يبكى عليه الآخرين ويشفقوا عليه .

لم أهتم بسؤالها عما هو (أعجب وأغرب) طالما أنها لم تحكى عنه وحدها .. وسألتها باهتمام عن ..

ـ وماذا كان رد فعل زوجكِ ؟

ثم ألقيت نظرة خاطفة لأقرأ اسمه من المفكرة :

(رامى) .

توقعت أن تخبرنى أنه انزعج كثيرًا من هذا الأمر وربما اتهم عائلتها بأنها خدعته عندما زوجتها له دون أن تخبره بأمر السرنمة .. وربما هو الذى أجبرها على الذهاب إلى عيادتى اليوم عندما فاض الكيل به وأصبح يخاف على نفسه منها أوعلى الأقل لا يستطيع النوم بسبب ما يحدث منها ليلاً ..

ضع نفسك مكانه وتخيل أنك ترى زوجتك تنهض من فراشها ليلاً ..

هذا أمر طبيعى يحدث كثيرًا معك .. أعلم .. لكن غير الطبيعى أن تكتشف أنها لا تزال نائمة .. وسوف تستيقظ ولا تتذكر ما حدث لها أثناء السرنمة مع العلم أنها تتذكر أثناء السرنمة ما حدث لها قبلها ..

Looloo
www.dvd4arab.com

ربما لا تستطيع ـ أنت ـ النوم قبل أن توقظها .. ربما لا يغمض لك جفن بعد ذلك .. ربما لا ترتاح للنوم معها فى غرفة واحدة .. لا تطمئن إلا إذا قيدتها فى السرير .. ثم تلعن اليوم الذى ارتبطت فيه بها .. ثم تفكر فى الحل أو ينصحك أحد به وهو أن تعالجها عند طبيب نفسى .. ولهذا توقعت أن تخبرنى بأن زوجها (رامى) قد أتى معها اليوم وأنه ينتظرها الآن خارج الغرفة .

قالت السيدة (إنعام) :

ـ لا يهتم بهذا الأمر .

كانت الإجابة عكس توقعاتى تمامًا .. فسألتها :

ـ هل يعلم بأمر السرنمة ؟

ـ نعم يعلم ، ولكنه لا يهتم .

كررت وراءها مندهشًا :

ـ لا يهتم !

قالت برومانسية :

ـ أو هذا ما يبديه لى على الأقل .. فربما لا يريد جرح مشاعرى بإظهار مشاعره الحقيقية وانزعاجه الشديد من هذه المشكلة .. فكما أخبرتك من قبل أنه يحبنى جدًا وربما لهذا يظهر عدم الاكتراث لهذه المسألة عندما أحدثه بشأنها .

ـ هل رآك من قبل وأنت تسرنمين ؟

قالت بثقة :

ـ لا .

ثم فكرت لثوان معدودة وعادت تقول :

ـ ربما .. ربما رآنى فى إحدى المرات وينكر ذلك حتى لا يحرجنى أو يجرحنى .

ـ ألم يخبرك أنه رآك ؟

ـ يقول أنه لم يرنى أبدًا .

ـ كيف ؟

ابتسمت قائلة :

ـ لا تندهش .. السبب فى ذلك هو أن نومه ثقيل جدًا .. أى أنك لو فجرت قنبلة بجوار رأسه لن يستيقظ .

مثال، غريب جدًا .. على أساس أن الرأس لن يطير من القنبلة .

Looloo

قد ينهض المسرنم من فراشه ويسير فى أنحاء الغرفة أو فى أرجاء البيت ثم يعود إلى سريره من تلقاء نفسه ويكمل نومه .. وربما فى هذه الحالة لا يعلم أحد بالبيت أنه يسرنم .. ما لم يره أثناء السرنمة .

أما فى حالة السيدة (إنعام) فإنها لا تعود إلى سريرها .. ومع ذلك زوجها لم يرها قط .. أو هذا ما يدعيه على الأقل .. سألتها :

ـ وكيف علم أنك تسرنمين ؟

ـ أنا أخبرته .. وهو قد رآنى أكثر من مرة نائمة فى أماكن أخرى غير السرير عندما كان يستيقظ من نومه قبلى .. ولقد تطور الأمر بعد ذلك .

ـ كيف ؟

ـ بعدما كنت أسير أثناء نومى داخل شقتى .. بدأت أخرج منها .. هنا شعرت برعب حقيقى .. ما الذى أفعله بالخارج ؟.. كيف أخرج من بيتى وأعود دون أن أتذكر شيئًا ؟ ما الذى يجعلنى أخرج أصلاً ؟ وكيف أعود وأنا لا أزال نائمة ؟ كيف أهبط الدرج ؟ كيف أسير فى الشارع ؟ كيف أصعد الدرج ؟ كيف أعود إلى سريرى ؟ كيف أفعل كل هذا وأنا نائمة ؟

ـ وكيف عرفت أنك تسرنمين خارج شقتك ؟

ـ الجيران .

ـ كيف ؟

وقبل أن تجيب سؤالى .. سمعت الطرقات فهرعت إلى الهاتف .. ضحكت ورأيت السيدة (إنعام) تضحك .. معها حق .. فهذه طرقات وليست رنين الهاتف ولكن يبدو أننى تعودت على الاندفاع ناحية الهاتف .. وتعودت على انقطاع الحديث بسببه .

سمعت الطرقات مجددًا .. فاتجهت للباب وفتحته قليلاً وقلت :

ـ نعم يا (وائل) .. أنا بخير .. لا تقلق .

تردد (وائل) قليلاً قبل أن يقول بصوت منخفض :

ـ الموضوع أن هناك شخصًا يريد مقابلتك الآن .

قلت له بغضب :

ـ فليأخذ موعدًا ويأتى فيه .. ألا تعرف النظام يا (وائل) ؟ هل أنت جديد هنا ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ هو ليس مريضًا .

ـ أحد الأطباء !.. حسنًا .. أخبره أننى بخير وأشكره على سؤاله عن صحتى النفسية .. لقد تزوجت خطيبتى السابقة .. عادى جدًا .. الأمر ليس خطيرًا إلى هذا الحد .. أخبره بهذا .. ولا تقطع الجلسة مرة أخرى .

هز (وائل) رأسه نفيًا وقال :

ـ ليس طبيبًا .

ـ لابد أنها جارتنا .. السيدة (ماجدة) .. بالرغم من سؤالها لى أثناء صعودى العيادة تأتى هنا لتسألنى مجددًا عن حالى .. فلتطمئنها .. وأخبرها أننى لا أفكر فى الانتحر ..

قاطعنى قائلاً :

ـ إنه رجل .. إنه ..

ـ من ؟.. انطق .

ـ إنه المهندس (عزيز) .. (عزيز شعبان) .

ـ ماذا ؟

* * *

6 ـ زوج خطيبتى ..

لم أصدق ما سمعته ..

أزحت (وائل) جانبًا لأرى المهندس (عزيز) بنفسى وأتأكد .. ورأيته ..

(وائل) الممرض لم يكذب .

إنه هو بالفعل .. المهندس (عزيز شعبان) .. زوج خطيبتى .. أو بتعبير أدق .. زوج خطيبتى السابقة .

زوج (نادين) .. هنا فى عيادتى .

لماذا ؟؟

المفروض أنه فى شهر العسل الآن .. أم إن الشهر قد انتهى أول أمس ؟

تأملته .. كان يجلس متوترًا .. ينظر للمرضى الجالسين بجواره بتوجس وقلق وخيفة وترقب .. كأنه يخشى أن ينشب أحدهم أظافره فى عنقه .. أو يقضم ذراعه .. أو يمزق حلته .. أو يجذب

www.dvd4arab.com

شعره .. ربما يتوقع ظهور من يضربه فجأة على كتفه ويجبره على غناء (ساعة تروح وساعة تيجى) أو يتوقع رؤية من يسحب الفرشاة وراءه كأنها صديقه الوفى .. لقد أفسدت السينما صورة المرضى النفسيين .

سألت (وائل) باهتمام :

ــ ألم يخبرك فيم يحتاجنى ؟

هز رأسه نفيًا وقال :

ــ لا .. ولكنه أصر أن أبلغك الآن أنه هنا .

فكرت قليلاً ثم حسمت الأمر :

ــ حسنًا .. أدخله .

ــ بعد هذه الحالة ؟

قلت بلهجة حادة :

ــ لا .. عندما يأتى دوره فى كشف الحالات .

قال (وائل) متعجبًا :

ــ ولكنه ليس حالة .

ــ لكنه فى عيادتى .. فليلتزم بقوانين الدخول لى .

عقد (وائل) حاجبيه قائلاً :

ــ لكن ..

قاطعته قائلاً بلهجة حاسمة حتى أنهى هذه المحادثة :

ــ نفذ ما قلته .

أغلقت الباب بعد أن ألقيت على المهندس نظرة أخيرة ثم عدت لاستكمال الجلسة .

* * *

قالت السيدة (إنعام) :

ــ الجيران كانوا يسمعون صوت صرير باب شقتنا ليلاً .. خطوات داخل شقتنا ليلاً .. هبوط و صعود الدرج إلى شقتنا .. وفى يوم أخبرتنى جارتى (أمينة) أنها قد رأتنى خارجة من شقتى ليلاً فألقت التحية علىّ وسألتنى عن سبب خروجى فى هذه الساعة المتأخرة .. كانت تريد مساعدتى إن كنت أحتاج شيئًا .. قالت أنى تجاهلتها ولم أرد عليها وهبطت الدرج وكأنى لم أرها ..

Looloo
www.dvd4arab.com

أخبرتنى بهذا فى الصباح لتسألنى عن سبب هذا التصرف الغريب .. اعتقدت أنى غاضبة منها أو فى حالة خصام معها .

ــ هذا يعنى أن هناك شهودًا كثيرين على حالة السرنمة ؟!

ــ نعــم .

ــ منهم من رآك وتحدث إليك ؟!

ــ نعــم .

ــ هل منهم من أخبرك أنك تحدثتِ أثناء نومكِ ؟

ــ لا .

ــ وماذا فعل زوجك عندما علم بأمر خروجكِ ليلاً ؟

ظهر الغضب على وجهها وقالت بانفعال :

ــ دكتور .. أنا لا أخرج ليلاً .. أنا لست سيدة ســيئة .. أنــا لا أنتهز فرصة نوم زوجى وأخرج .

ــ أقصد .. تسرنمين خارج بيتكِ .

هدأت قليلاً .. فسألتها مرة أخرى :

ــ وماذا فعل زوجكِ عندما علم بأمر السرنمة خارج البيت ؟

ــ كان يغلق باب الشقة جيدًا كل ليلة ويجعل المفاتيح معه .

ــ هل هذا هو الحل ؟

قالت بعصبية :

ــ ماذا يا دكتور ؟! هل تريده أن يقيدنى فى السرير ليلاً ؟

ــ لا طبعًا .. ولكنى أقصد هل فكر زوجك فى مسألة علاجك ؟.. هل هو الذى أقنعك بزيارتى اليوم ؟

ــ لا يا دكتور .. إنه لا يعلم بأنى هنا .. ولــم يقتــرح يومًــا مسألة الطبيب هذه .. إنه يحافظ على مشاعرى لأقصى درجة لا يريد أن يبين لى أننى صرت مصدر خطر على حياته .

ــ على حياته !

ــ نعم يا دكتور .. أنت تفهم قصدى جيدًا .

لم أعلق وتركتها تسترسل فى الحديث :

ــ عقلى يفكر كثيرًا فى خطورة هذا الأمر .. ما الذى يمكن أن أفعله وأنا أسير أثناء نومى ؟.. ربما أقوم بفعل خطير فى الشقة دون أن أدرى أنى أفعله .. فأنا سأكون نائمة وقتها .. أما زوجى

Looloo
www.dvd4arab.com

فنومه ثقيل جدًا كما أخبرتك .. لن يشعر بى .. لا أعلم ما الذى يمكن أن أفعله .. ربما أشعل النار فى شىء ما وتحترق الشقة وأستيقظ من حرارة اللهيب .. ربما أفتح الغاز وأموت مختنقة أثناء النوم .. ربما أقذف بنفسى من النافذة أو البلكونة .. ربما أذهب للمطبخ وأحضر سكينًا و...

توقفت لتلتقط أنفاسها ثم غطت وجهها بكفيها قائلة :

ــ أنا مرعوبة .

ــ اهدئى .

ــ تخيل لو أننى ركبت سيارتى أثناء هذه الحالة وقدتها بأقصى سرعة و...

قاطعتها بسؤال :

ــ هل لديك سيارة ؟

ــ لا .. ولكن تخيل معى .

* * *

بعد هدوء عاصفة الانفعالات .. سألت السيدة (إنعام) :

ــ هل فكر زوجكِ مثلكِ فى هذه المخاوف ؟

ــ بالتأكيد فكر .. هو لم يخبرنى .. لكنى أتصور أن لديه مخاوف كثيرة أيضًا منذ علمه بالأمر .. ولكنه لا يريد أن يفصح لى بشىء حتى لا يجرح مشاعرى .

ــ ولهذا لم يقترح عليكِ الذهاب إلى طبيب .

ــ بالضبط .

ــ من صاحب الفكرة إذن ؟

ــ أنا طبعًا .. فكما أخبرتك لا يعلم أحد بهذه المسألة .

ــ وماذا عن جيرانك الذين أخبروكِ بأنكِ ...

قاطعتنى ــ وقد فهمت السؤال دون أن أكمله ــ قائلة :

ــ لم أخبرهم طبعًا أننى أسير أثناء النوم .. هذا سر لا يمكن البوح به لأحد .

ــ لماذا ؟

ــ أعتقد أن الأسباب معروفة .

ــ أريد أن أسمعها منكِ .

Looloo
www.dvd4arab.com

تنهدت قائلة :

ـ لا أريد أن ينظر الناس لى نظرة الإنسانة المريضة .. أو الإنسانة المريبة الغريبة المخيفة التى تسير أثناء نومها .. أريد أن أعيش حياة طبيعية وسط جيرانى .. دون أسئلة حول طبيعة مرضى .. أو حوارات طويلة ثقيلة عن حالتى الغامضة .. أو مزاح بشأن استيقاظى ونومى .. وقد تسألنى واحدة منهم باستظراف (هل أنت نائمة الآن أم مستيقظة ؟) .. لا لا .. لا أريد هذا أبدًا .. لذا لن أخبر أحدًا .

ـ حسنًا .. وماذا كنت تخبريهم عندما يسألونكِ عن ...

قاطعنى رنين الهاتف مجددًا .. فنهضت بتثاقل و...

ـ آلو .. من المتصل ؟.. من ؟.. د. (ريهام) .. أهلاً بك .. الحمد لله .. أنا بخير .. لا لا .. ما الأمر ؟.. لماذا الجميع قلق علىّ إلى هذا الحد ؟.. لقد مر على زواجها شهر وأنتم مازلتم مستمرين فى السؤال عن حالتى النفسية .. أعلم أن حالتى كانت سيئة فى بعض الأيام .. ولكنى أصبحت بخير الآن .. فلِمَ كل هذا القلق ؟

زفرت السيدة (إنعام) فى ضيق .. فتحاشيت نظراتها وقلت :

ـ لا أستبعد أن يكون هو أيضًا جاء عيادتى ليطمئن على حالى .. خمنى .. لا .. حاولى مرة أخرى .. لا أيضًا .. ولا هذا .. أعطينى تخمينًا آخر وسوف أخبرك .. لا .. حسنًا سأخبركِ .. إنه المهندس (عزيز) .. نعم بالضبط .. زوج خطيبتى .

التفت إلى السيدة (إنعام) فوجدت فمها مفتوحًا عن آخره من الدهشة .. كتمت ضحكتى من المنظر .. ثم أكملت المكالمة :

ـ نعم .. هوهنا الآن .. يجلس بالخارج مع (وائل) .. ينتظر مع المرضى .. لا أعرف السبب .. سأعرف بعد قليل عندما يأتى دوره .. أتركك الآن لمرضاكِ يا دكتورة .. شكرًا على السؤال .. سلام .

اعتذرت للسيدة (إنعام) .. سألتنى متعجبة :

ـ من هذا الذى ينتظرك بالخارج مع المرضى ؟

ـ لا تشغلى بالكِ .

ـ لقد سمعتك تقول أنه زوج خطيبتك .

ـ نعم .. زوج خطيبتى السابقة .. (السابقة) أى أنها لم تعد خطيبتى الآن .

Looloo
www.dvd4arab.com

نظرت فى المفكرة وأنا أقول :

ــ ولنكمل الجلسة ..

لكنها فى تلك اللحظة لم ترد استكمال الجلسة .. لقد أثار اهتمامها شىء آخر والدليل أنها سألتنى بفضول :

ــ ولماذا يزورك زوج خطيبتك السابقة فى عيادتك ؟

ــ لا أعلم .. و دعينا نكمل الجلسة .. أين توقفنا ؟

حاولت التذكر و...

ــ آه .. كنا نتحدث عن الجيران .. ماذا كنت تخبريهم عندما يلاحظون سلوكك الغريب معهم ؟

ــ طبعًا لم أخبرهم بالحقيقة وذكرت لك الأسباب .. كنت أخترع أكاذيب مثل أننى احتجت شيئًا ضروريًّا ليلاً من الصيدلية .. ولم أستطع التحدث مع أحد لأنى كنت متعجلة .. أما أصوات الخطوات الليلية كنت أفسرها بأننى أقوم بالكنس أو الغسيل أو أى عمل من أعمال المنزل ليلاً .. باختصار كنت أعطيهم الحجج المنطقية لتفسير سلوكى الغريب ليبدو سلوكًا طبيعيًّا أمام الجيران .

ــ هل حاول أحدهم إيقاظك أثناء السرنمة ؟

فكرت لبرهة ثم قالت :

ــ لا .. أو .. لا أعلم .. ربما حاولوا ولم أستيقظ وقتها .. ربما كان نومى ثقيلاً .

ــ هل تنامين فى أى أوقات أخرى غير الليل ؟

ــ لا .

ــ ولا مرة ؟

ــ ممم .. مرات قليلة جدًّا .

ــ متى ؟

سألتنى مندهشة :

ــ هل تريدنى أن أحصى لك الأيام التى نمت فيها أثناء النهار ؟

ــ لا .. كنت أسأل عن الوقت الذى تنامين فيه أثناء النهار .

ــ العصر .. ولكنها مرات قليلة .

ــ حسنًا .. هل كنتِ تسرنمين فى هذه الفترة من النهار ؟

ــ لا .. على حد علمى .

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ وكيف تعلمين ؟

ــ عندما كنت أستيقظ كنت أجد نفسى نائمة فى نفس المكان الذى نمت فيه .

ــ هذا ليس دليلاً .. فربما كنت تسيرين أثناء نومك ثم تعودين لنفس المكان الذى نمت فيه .

فكرت قليلاً .. بدا عليها الاقتناع بما قالته .. نظرت فى المفكرة ثم سألتها :

ــ هل تتحدثين أثناء نومك ؟

ــ لا أعلم .. ربما .

ــ كيف ؟

ــ كما أخبرتك زوجى نومه ثقيل .. فلو تحدثت أثناء نومى لن يستيقظ .. حتى لو صرخت فى أذنه .. حتى لو انفجرت قنبلة بجوار السرير .

لا أعلم سبب إصرارها على استخدام (القنبلة) فى أمثلتها .. لا أستبعد أن يكون المثال القادم أنها لو ضبطت القنبلة على ميعاد الاستيقاظ لن يستيقظ زوجها .

تابعت قائلة :

ــ ولأن نومه ثقيل لن يعرف إن كنت قد تحدثت أم لا .. أعتقد أن الحل الوحيد هو أن أحضر جهاز تسجيل وأشغله قبل نومى لأعرف إن كنت أتحدث أثناء النوم أم لا .

قالتها ضاحكة ولكن الفكرة قد راقت لى تمامًا .. قلت لها :

ــ ولكن .. ربما تنامين قبله وفى هذا الوقت سيعرف .

فكرت قليلاً ثم قالت :

ــ احتمال وارد .

إن التحدث أثناء النوم قد يسبب مشاكل اجتماعية للنائم ، فقد يفصح أثناء نومه عن معلومات سرية كان ينوى إخفاءها عن الشريك أو قد يسبب له إزعاجًا يجعله لا يستطيع النوم .

فى يوم ما جاءنى رجل العيادة ــ لا داعى من ذكر الاسم فأنت فى النهاية تعرف أنى لن أصرح بالاسم الحقيقى للرجل ــ يشكو من زوجته التى تتحدث أثناء نومها .. لم يكن الأمر يزعجه فى البداية لكن مع مرور الوقت تكرر الأمر كثيرًا وازداد الكلام .. وبعد أن كانت تنطق كلمة أو جملة .. أصبحت تقول خطبًا

Looloo www.dvd4arab.com

ومحادثات .. الأمر أصبح جحيمًا حيث كانت توقظه من النوم كثيرًا .. الطامة الكبرى كانت عندما نطقت قائلة : أحبك يا (رفعت) .. ولم يكن الرجل اسمه (رفعت) ولا يعرف أحدًا بهذا الاسم .. وقرر مراقبتها لأنه شك أن تكون على علاقة برجل اسمه (رفعت) .. المراقبة لم تسفر عن شيء .. وتكرر اسم (رفعت) فى ليال كثيرة لتزيد الشك والحيرة عنده .. ولم يجد شيئًا يفعله ليعرف الحقيقة .. ولم يواجهها بشكوكه لأنه توقع كذبها لذا كان يبحث عن دليل قوى على خيانتها .. حتى جاءت الليلة التى قالت فيها (حتى تحترق النجوم وحتى ....) هنا تذكر الزوج أنها مغرمة بسلسلة روايات (ما وراء الطبيعة) وببطلها د. (رفعت إسماعيل) ..

هناك قصة لأديبنا العالمى (نجيب محفوظ) ـ رحمه الله ـ اسمها (الهذيان) فيها الزوج علم بخيانة زوجته من خلال حديثها أثناء الهذيان من الحمى .

تخيل مثلاً أن تجد زوجتك تقول ليلاً وهى نائمة (أحبك وسوف أتزوجك بعد أن أحصل على الطلاق) .. لا قدر الله طبعًا .. أنا أضرب مثالاً فقط .

طبعًا هذه ليست من الجمل التى تتمنى سماعها من زوجتك سواء كانت نائمة أومستيقظة .

بالتأكيد لا يمكننا الاعتماد على ما يقال أثناء النوم .. نفس المنطق ينطبق على ما نراه فى أحلامنا .. لا يمكن أن نعيش حياتنا معتمدين على ما نراه فى أحلامنا .

كنت أعالج حالة تحلم بأن زوجها يخونها .. و ظلت تعتقد أن حلمها حقيقيًا حتى حلمت بأنها تخون زوجها مع رجل آخر .. وقتها توقفت عن تصديق أحلامها .. لأنها متأكدة من نفسها طبعًا .. أى أنها عندما حلمت بخيانة زوجها شكّت فى الأمر .. وعندما حلمت بخيانتها رفضت الأمر .

كانت هناك حلقة فى مسلسل (هو وهى) بعنوان (لدغة العقرب) .. كانت البطلة (سعاد حسنى) تحلم بخيانة زوجها (أحمد زكى) ورأت وجه المرأة الأخرى فى الحلم .. وفى النهاية وجدت الدليل على صدق أحلامها بعد وفاة زوجها .

طبعًا هذه حالة نادرة .. كان الحلم حقيقيًا مثل أحلام السيدة (ماجدة) .

لا تعتمد كثيرًا على ما يقال فى المسلسلات أو .. الروايات .

Looloo
www.dvd4arab.com

ولهذا أقول .. لو سمعت زوجك يتفوه بكلمات أثناء نومه تعلمين منها أنه يخونك .. لا تشكى فيه .. هذه أحلام .. ربما شاهد فيلمًا أو مسلسلاً أو قرأ رواية وانطبعت الأحداث فى ذاكرته و خرجت فى أحلامه .. ونفس الكلام موجه للرجال .. فالنساء عاشقات للمسلسلات العربية والأفلام القديمة .. فلا تعتمدوا على ما يقال على ألسنتهن أثناء النوم .

والحديث أثناء النوم قد يكون تمتمة غير واضحة .. لا تفهم منها شيئًا .. وقد يكون صراخًا .. يوقظ الشريك فجأة ليطير من السرير فزعًا .. وقد يكون معلومات سرية عن العمل .. فلا تنم بجوار غريب فى القطار أو أى وسيلة مواصلات أخرى إذا كنت من الذين يتحدثون أثناء نومهم .

وقد يكون غناء ..

وأنا لا أعرف رأيك فى هذه الأمر .. هل الغناء أثناء النوم أفضل من الكلام أم أسوأ ؟

كانت هناك حالة تعانى من غناء زوجها أثناء نومه .. خاصة أنه كان يقلد المطرب الشهير (جورج وسوف) فى الغناء وهى لم تكن من عشاقه .. ولحل هذه المشكلة كانت تضع سدادات قطنية فى أذنيها .. هذا الحل كاد أن يكون جميلاً لولا أنها تحتاج

أذنيها لسماع المنبه أو الهاتف إذا كانت هناك مكالمة مهمة .. فكرت فى وضع شريط لاصق على فمه لكنها خشيت أن تكتم أنفاسه أثناء نومه ..

فكرت فى حل آخر .. أن تعوّد زوجها على سماع مطربين آخرين أثناء استيقاظه حتى يكون غناؤه ليلاً مستساغًا على الأقل .. طالما أنها لم تستطع إسكاته .

* * *

قالت السيدة (إنعام) عندما سألتها عن ابنها :

ــ ابنى (وحيد) كان فتى طيبًا وسيمًا ..

ثم أخرجت من حقيبتها صورة له وأرتنى إياها قائلة بقلب أم حزينة :

ــ انظر .. تأمل قسمات وجهه .. ألم يكن جميلاً ؟.. انظر إلى عيونه .. شعره .. لقد كان يصلح للعمل فى السينما .

بكيت وهى تختطف الصورة منى لكى تُقبلها بكل حنان .. رأيت أمامى فى تلك اللحظة أم تتعذب بقوة من فقدان ابنها الوحيد .. حاولت تهدئتها ثم سألتها :

ــ دون انفعال .. احك لى بالضبط كيف ومتى تلقيت خبر موته .

Looloo
www.dvd4arab.com

مسحت دموعها وقالت :

ــ أنا لم أتلق خبر موته .. لقد رأيته ميتًا أمامى .

وانفجرت فى البكاء من جديد وهى تقول :

ــ كان مريضًا بشدة .. فكرت فى عرضه على طبيب فى اليوم التالى .. لكنى لم أكن أعلم أنه لن يعش يومًا آخر .. لقد استيقظت فى الصباح وذهبت إلى غرفته لأطمئن عليه وجدته على الأرض ميتًا .. ربما استنجد بنا ليلاً ولم نسمعه .. ربما حاول النهوض من سريره فسقط أرضًا ولم نسمعه .. ربما طلب شيئًا ولم نسمعه .. كل هذا بسبب النوم .. النوم الثقيل .

يبدو أنها ترى أن النوم هو السبب الرئيسى فى موت ابنها .. ربما لهذا تترك فراشها وتذهب للنوم فى سريره فهناك ستكون قريبة من ابنها فتسمع ندائه بسرعة إذا احتاج شيئًا .. لكنه للأسف ميت الآن .

سألتها :

ــ كم كان عمره ؟

ــ أكمل عامه الخامس العشر فى شهر مارس الماضى .

ــ هل كنت ...

قاطعتنى قائلة :

ــ أتعلم أننى أحلم به كثيرًا .. أراه فى المنام يلعب الكرة مع رفاقه فى أماكن جميلة جدًا .. ما معنى هذا الحلم ؟ هل له تفسير ؟

وقبل أن أجيب سؤالها قالت :

ــ أتعلم أننى أحيانًا أسمع صوته .. أشعر أنه يناديني .

ــ فى الحلم ؟

ــ لا .. أسمعه فى الواقع .

ــ متى يحدث هذا ؟

ــ ليلاً .

فكرت قليلاً فيما قالته .. ابتسمت وقالت :

ــ ليست هلاوس سمعية يا دكتور .. لا تقلق .. إن هذه الأمور متعلقة بالعاطفة .. ليست جنونًا .. إنها مشاعر الأمومة .. أمامك الآن أم حُرمت فجأة من ابنها الغالى الوحيد لذا تتمنى أن تسمع صوته ولو مرة واحدة .. ولهذا يظل حديثه الأخير معها يتردد فى آذانها كثيرًا وكأنها تسمعه بالفعل .

ــ هل تتذكرين حديثه الأخير معك ؟

ــ نعم .. بل وأتذكر كل أحاديثه معى .

Looloo
www.dvd4arab.com

أعادت صورة ابنها إلى حقيبتها .. قلت لها :

ـ تقولين أنك بدأت تسرنمين منذ شهر .

ـ نعـم .

ـ وتقولين أن وفاة ابنك كانت منذ ثلاثة أشهر .. أى أن هناك فرق شهرين .

فوجئت بها تقول :

ـ فى هذين الشهرين لم أكن أنام أصلاً .

ـ لم تنامى !

ـ كنت أنام مدة بسيطة جدًّاااا .. لا يمكنك حسابها .. ثم بدأت تزيد المدة تدريجيًّا .

ـ وماذا عن الشهر الماضى ؟

ـ تحسنت كثيرًا .. أصبحت أنام طول الليل .

ضحكت ثم تابعت قائلة :

ـ ولكنى أصبحت أسير أثناء ذلك .

* * *

7 ـ أسـئلة وأجـوبة ..

قلت للسيدة (إنعام) :

ـ سأسألك بعض الأسـئلة وأريد منـك الإجـابة بـ (نعم) أو (لا) .

ـ تفضل .

ـ هل تحبين النوم فى الظلام ؟

ـ لا .

ـ هل يمكنك النوم فى الظلام ؟

ـ لا .

ـ هل هناك أى ضوضاء تحدث أثناء نومك ؟

ـ لا .

ـ هل تحلمين بكوابيس ؟

ـ هل يمكن أن أقول إجابة أخرى غير (نعم) و (لا) ؟

ـ ما الإجابة التى تريدين قولها ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ أحيانًا .

ـ هل تستخدمين المنبه لإيقاظك ؟

ـ نعـم .

ـ هل تنظرين له كثيرًا أثناء نومك ؟

ـ لا .

ـ هل تدخنين ؟

ضحكت قائلة :

ـ لا .

ـ هل زوجك يدخن ؟

ـ لا .

ثم سألتنى :

ـ لماذا تسأل عن زوجى ؟

ـ لأنه لو كان يدخن فأنت تدخنين معه بطريقة غير مباشرة .

ـ حسنًا .. أكمل .

ـ هل تتناولين أى أدوية أوعقاقير ؟

ـ لا .

ـ هل تشربين أى كحوليات ؟

ضحكت قائلة :

ـ لا .

ـ هل تشربين القهوة ؟

ـ نعـم .

ـ بكثرة ؟

ـ لا .

ـ شـاى ؟

ـ لا .

ـ لبـن ؟

ـ لا .

ثم سألتنى ضاحكة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ هل نحن فى عيادة أم فى قهوة ؟

ـ إن المشروبات لها علاقة كبيرة بالنوم فالقهوة مثلاً تساعد على السهر .. واللبن يساعد على النوم وهكذا .

ثم سألتها عن مشروبات أخرى كثيرة و...

ـ هل تغيرين مكان نومك ؟

ـ وأنا مستيقظة ؟!

ـ هل تذهبين لنفس السرير كل ليلة ؟

ـ نعـم .

ـ هل نمتِ خارج منزلك أثناء زواجك ؟

ـ ماذا تقصد ؟

ـ عند أهلك مثلاً ؟

ـ نعم .. فى المناسبات .

ـ هل استطعتِ النوم هناك ؟

ـ نعـم .

ـ هل نمتِ عند أحد غيرهم ؟

ـ ماذا تقصد ؟

ـ صديقة مثلاً .

ـ لا .

ـ هل تستطيعين النوم إذا غيرتِ مكان نومكِ لأى سبب ؟

ـ نعـم .

ـ هل تكثرين من الأكل فى وجبة العشاء ؟

ـ نعـم .

ـ هل تنامين بعد العشاء مباشرة ؟

ـ أحيانًا .

ـ هل تمارسين أى رياضة بعد العشاء ؟

ـ لا .

ـ هل تعرضتِ لأى إصابة أثناء السرنمة ؟

ـ لا .

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ ألم تصطدم قدمكِ بشيء وأنت تسرنمين ؟

ـ لا .. الحمد لله .

ـ هل تعانين من أى أمراض ؟

ـ لا .

ثم سألتنى :

ـ أى أمراض ؟ الإنفلونزا مثلاً ؟

ـ الصرع ؟ السكر ؟

ـ لا لا .. كفى الله الشر .

ـ هل عملكِ مرهق ؟

ـ لا .

ـ هل تحبين عملكِ ؟

ـ نعـم .

ـ هل تجدين أى مشاكل فى العمل ؟

ـ نادرًا .

ـ علاقتكِ بزملائكِ طيبة ؟

ـ نعـم .

ـ وجيرانكِ ؟

ـ نعم .. علاقة طيبة .

ـ أقاربكِ ؟

ـ نعم .. طيبة .

سألتها باهتمام :

ـ هل هناك أحد فى عائلتكِ يسرنم أو كان يسرنم ؟

ـ لا .

تفحصت نظرات عينيها جيدًا .. شعرت أنها تكذب .. فـسألتها مرة أخرى :

ـ هل هناك أحد فى عائلتك يسرنم ؟

ـ لا .

كررت السؤال مرة ثالثة وأجابت بـ ...

ـ لا .

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ هل هناك أحد فى ..

قاطعتنى قائلة :

ـ حسنًا .. حسنًا .. نعم هناك .

نظرت لها نظرات لوم وقلت معاتبًا :

ـ لا تكذبى مرة أخرى .

ـ آسفة .. لكن كيف عرفت ؟

لم أجب سؤالها .. بل قلت :

ـ إن الكذب لا يفيد فى جلسة العلاج .. يجب أن تكونى صريحة تمامًا معى فى كل معلومة تعطيها لى حتى أستطيع تشخيص الحالة جيدًا .. أى كذبة قد تجعل تفكيرى يتجه فى نواحٍ أخرى ولن ينفع العلاج وقتها .

كررت أسفها .. سألتها :

ـ من هو ؟

ـ لا أفهم السؤال .

ـ من فى عائلتك يسرنم ؟

ـ عمى .

ـ من أيضًا ؟

ـ هو فقط .

ـ من أيضًا ؟

ـ على حد علمى هو فقط .. ربما هناك آخرون فى العائلة ولكنى لا أعرف سوى حالته .. البيوت أسرار كما تعلم .. وأنا لست اجتماعية بالدرجة الكافية لمعرفة أسرار كهذه .. وهذه الأمور لا نناقشها أو نتحدث فيها فى جلساتنا العائلية أو المناسبات والأعياد .. وعلى فكرة أنا لم أخبر أحدًا بما يحدث لى حتى أمى التى تعرف عنى كل شىء .. لم أخبرها .

ـ حسنًا .. لماذا كذبت بشأن عمك فى البداية ؟

صمتت للحظات ثم قالت :

ـ لم أرد إخبارك بهذه المعلومة حتى لا ينصب تفكيرك فى مسألة الوراثة .

كتمت غيظى وقلت :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ أخبرينى بالحقيقة دائمًا .. لا أريد سوى الصدق .. ولا تشغلى نفسك بتحليل أى أمور .. ودعى التفسير لى .. أنا هنا الطبيب النفسى الذى يستمع إليك ويحلل ما يسمعه من جميع الزوايا .. لا أجعل تفكيرى يتركز فى نقطة واحدة .. أنظر للموضوع من جميع النواحى .. وأحلل وأشخص الحالة وأعالجها .. هذا هوعملى .. وأنت هنا اليوم فى عيادتى لأنك مقتنعة أنى أجيد هذا العمل .. فهل تثقين فى إجادتى له أم لا ؟

ابتسمت ابتسامة هادئة وقالت :

ـ أثق فيك يا دكتور .

قلت بابتسامة هادئة :

ـ هذه هى أول خطوة فى العلاج .. الثقة فى الطبيب المعالج .

ـ أفهم ذلك .. وأعدك ألا أكذب عليك مرة أخرى مهما كانت الأسباب .

وأكملت الأسئلة ..

* * *

سألت السيدة (إنعام) :

ـ كم عدد ساعات نومك ؟

ـ من ثمانى ساعات حتى عشر ساعات .

ـ ساعات النوم متواصلة ؟

ـ نعم .

ـ لا يقطعها أى شىء ؟

ـ كما أخبرتك .. أنا أسير أثناء نومى لكنى لا أستيقظ .

وقبل أن أسألها سؤالاً آخر سألتنى :

ـ هل عشر ساعات كافية ؟

لم أرد وأكتفيت بابتسامة .. فقالت :

ـ لقد سمعت أن عدد ساعات النوم اللازمة هو ثمانى ساعات يوميًا .. أى ثلث اليوم .. لكنى كنت أعرف جارة لى تنام أكثر من نصف اليوم .. وأعرف رجلاً كان ينام ثلاث ساعات فقط .

ـ إن أغلب الناس ينامون ما بين سبع وثمانى ساعات يوميًا .. ولكنه لا يعنى بالضرورة أن كل إنسان يحتاج ذلك العدد من الساعات .. فنوم الإنسان يتراوح بين أقل من ثلاث ساعات لدى البعض إلى أكثر من 10 ساعات لدى البعض الآخر .

Looloo
www.dvd4arab.com

ثم سألتها :

ـ من يستيقظ أولاً : أنت أم زوجكِ ؟

ـ أحيانًا أنا وأحيانًا هو .

ـ هل تحلمين بابنكِ ؟

ـ كثيرًا جدًا .

ـ هل حلمتِ به فى الليالى التى تبين لك أنكِ سرنمت فيها ؟

ـ لا أتذكر .. ولكن احتمال كبير أن يكون هذا قد حدث لأنى أحلم به كثيرًا جدًا .

ـ هل تشعرين بالذنب فى موت ابنكِ ؟

ـ نعم .

ـ لماذا ؟

ـ كان يجب أن أذهب به للطبيب فى تلك الليلة .. كان يجب أن أنام معه فى سريره لأطمئن عليه .. كان يجب أن أهتم به أكثر من ذلك .

ـ الأعمار بيد الله ولقد جاء أجله .. لم يكن بإمكانكِ فعل شىء له .. أنت لم تقصرى فى شىء .

حاولت إخراجها من عقدة الشعور بالذنب وتأنيب الضمير .. ثم سألتها :

ـ هل فكرتما فى إنجاب طفل آخر طوال هذه السنوات ؟ أخ أو أخت لـ (وحيد) ؟

ـ لا .

ـ لماذا ؟

ـ كان هذا باختيارنا .. قررنا إنجاب طفل واحد فقط نوليه كل اهتمامنا .

ـ وبعد وفاته ؟

فهمت سؤالى على الفور وأجابت :

ـ لا .

ـ لماذا ؟ هل هناك أسباب صحية تمنع ذلك ؟

ـ لا .. المسألة أن حالتى النفسية سيئة جدًا .

ـ هل حدث لقاء بينكِ وبين زوجكِ خلال الشهور الثلاثة الماضية ؟

أجابت فى خجل :

ـ لا .

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ متى كان آخر لقاء بينكما ؟

احمر وجهها خجلاً وكأن دمها كله تجمع فى عروق وجهها .. قبل أن تجيب :

ـ منذ سنوات .

ـ ما رأيك فى إنجاب طفل آخر ؟ ربما يكون سببًا فى تحسين حالتك النفسية وتعويضًا من الله على خسارتكما فى (وحيد) .

ـ لا يمكن أن يأتى مثل (وحيد) أبدًا!!! .. لقد كان ..

ودق جرس الهاتف مرة أخرى .

كانت مكالمة أخرى من صديق لى يطمأن على الـ .. إلخ إلخ .

بعد المكالمة .. سألتنى السيدة (إنعام) :

ـ هل أطلب من زوجى أن يقيدنى فى السرير حتى لا أسير أثناء نومى .. أم أنام فى غرفة أخرى ويغلق علىّ الباب حتى الصباح ؟

ـ لا .. لن نضطر إلى ذلك .. سوف تشفين بإذن الله وتعيشى حياة طبيعية دون أى قلق أو خوف على نفسك أوعلى زوجك من نفسك .

* * *

8 ـ يوم المسرنمين ..

فى نهاية الجلسة ..

قلت للسيدة (إنعام) :

ـ احتمال كبير أن تكون وفاة ابنك سببًا لهذه الحالة .. خاصة أنك قد وجدت نفسك أكثر من مرة نائمة فى غرفته دون أن تدرى .. ربما السبب هو شعورك بالذنب واعتقادك أنك أهملته وإهمالك له كان سببًا فى موته .. ربما يكون حزنك الشديد عليه واشتياقك له سببًا .. ربما لو نمت فى غرفته لن تسرنمى بعد ذلك وربما لا ..

ـ ولكن ابنى مات منذ ثلاثة شهور وأنا أسير أثناء نومى منذ شهر واحد فقط !!

ـ المدة ليست مهمة .. فربما حدث الاضطراب بسبب عيد ميلاده الذى كان منذ شهر .. وربما لأسباب أخرى لا أعلمها تخص ابنك .. وربما هناك أسباب أخرى لحالة السرنمة .

ـ والحل ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ كما أخبرتك .. الحل هو أن تذهبى للمستشفى التى أخبرتك بعنوانها .. لا تقلقى أبدًا .. ليست مستشفى مجانين .. إنها مستشفى خاص .. ستجدى هناك الرعاية الكاملة .. ستجدى أطباء أكفاء يدرسون حالتك وممرضات على أعلى مستوى لرعايتك .. المكان مجهز للعلاج النفسى .. ستجدى هناك الراحة النفسية اللازمة .. ستتخلصين من التوتر والصراعات النفسية التى تعيشينها .. وسيتم دراسة حالتك جيدًا أثناء نومك من خلال أجهزة مثل جهاز تخطيط كهربة الدماغ (Electroencephalogram EEG) وجهاز تخطيط حركة العين (oculogram EOG–Electro) وجهاز تخطيط العضلات (Electromyogram EMG) وجهاز ...

قاطعتنى قائلة :

ـ ولكن ..

ـ اطمئنى تمامًا .. لا تقلقى من أى شىء .

قالت بضيق :

ـ لماذا لا تعالجنى هنا فى العيادة ؟

ـ العلاج ليس بالبساطة التى تتخيلينها .. لن أكتب لك فى الروشتة دواء مثلاً ليمنعك من السير أثناء النوم .. العلاج النفسى يختلف دائمًا .. ولكى أعالجك لابد أن أدرس حالتك جيدًا .. ولكى يتم هذا لابد أن أكون موجودًا أثناء نومك .. وهذا لا يمكن تنفيذه هنا فى العيادة .

قالت محاولة إقناعى :

ـ يمكننى إجابتك عن أى سؤال تريده .

ـ هناك أشياء لا تعرفينها عن نفسك أثناء نومك .. لابد من شخص يراقبك .. ولا أستطيع تكليف زوجك بهذه المسألة لأنك كما تقولين نومه ثقيل .. وفى نفس الوقت لا يستطيع زوجك تحليل حالتك مثل الطبيب النفسى .. ولهذا أنصحك بالمستشفى لأن الأطباء سيتابعون حالتك جيدًا .. سيقومون بالتحليلات اللازمة والفحوص المطلوبة ليعرفوا أكثر عن حالتك .. وبهذا يمكن أن يتم علاجك بصورة أفضل وأسرع .. أما علاج العيادة سيكون طويلاً جدًا وربما يكون غير مجد لحالتك .

قالت وكأنها وجدت الحل المثالى لمأساتها :

ـ حسنًا .. أعطنى حبوبًا تجعلنى فى حالة يقظة دائمة .. وبهذا لا يمكننى السير أثناء النوم .

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ النوم ضرورى جدًا للإنسان فهو يجعل الجسم يقوم بترميم قدراته وتجديد طاقته حتى يستطيع القيام بمهامه اليومية على أكمل وجه .

ـ حسنًا .. سوف أنام بالنهار وأسهر الليل حتى لا أكون خطرًا على زوجى والجيران والآخرين وهم نائمين .

ـ لا .. لا تخالفى قوانين الطبيعة التى فطرنا الله عليها .. فهذا سوف يضرك فى نواح عديدة .

أدت بعض الأبحاث التى تم إجراؤها فى جامعة هارفارد أن قلة النوم قد تؤدى إلى زيادة نسبة بعض الأمراض مثل ارتفاع ضغط الدم والجلطة القلبية والسرطان وهناك نزعة فى الأشخاص الذين يعملون فى الليل وينامون فى النهار بأن تقل عندهم المناعة لبعض الأمراض .

قالت لى بعناد :

ـ ولكن هناك أناسًا كثيرين يعملون ليلاً .

ـ لو أن الأمور بأيديهم لناموا مثل بقية البشر .. لكنهم للأسف مضطرون لذلك نظرًا لطبيعة عملهم .. هل سمعت عن الميلاتونين ؟

ـ (الملامين) !!

لم أستطع منع ضحكتى .. وقلت :

ـ الميلاتونين (Melatonin) هورمون يفرز بواسطة الغدة الصنوبرية (Pineal Gland) ويقوم بتكوين تنظيم خاص لوقت النوم اعتمادًا على كمية الإضاءة فى محيط الشخص .

يتكون ويفرز الميلاتونين بشكل مطلق خلال ساعات الليل وفترة إفرازه تتناسب طرديًا مع طول ساعات الليل . تعتمد الكائنات الحيوانية (الثدييات الطيور على وجه الخصوص) على طول رسالة الميلاتونين لتتعرف على طول الفترة الضوئية (Photoperiod) وهى (النسبة بين عدد ساعات الليل وعدد ساعات النهار) و بالتالى تمييز الموسم المقبل . على سبيل المثال إذا كان إفراز الميلاتونين يزداد يوميًا بشكل تدريجى هذا يعنى زيادة بطول الليل أو اقتراب الشتاء .. بينما قصر فترة إفراز هذا الهرمون تعنى قصر الليل أو الاقتراب من الصيف .. وهكذا تستطيع الثدييات أن تتعرف على طبيعة الموسم المقبل وتهيئ نفسها فسيولوجيًا ، مورفولوجيًا ، وسلوكيًا لاستقبال هذه الفترة .

Looloo
www.dvd4arab.com

بالنسبة للإنسان فإن هرمون الميلاتونين يقوم بدور المنبه الخاص بالجسم فهو ينظم الدورة الخاصة بنومه واستيقاظه .. فهو يفرز ليلاً لكى يساعد الإنسان على النوم ويتوقف الجسم عن إنتاجه نهارًا مع ضوء الشمس حتى يمكنه الاستيقاظ وممارسة أعماله ونشاطاته .. يتوافر الهرمون فى صورة غذائية وفى صورة دوائية لمعالجة حالات الأرق للتغيرات التى تحدث فى ساعات العمل وعند السفر .

سألتنى بحدة :

ــ ألن تكتب لى أى أدوية ؟

ــ كما أخبرتك من قبل أنا لا أميل لكتابة أدوية للمرضى .. فقط نفذى النصائح التى نصحتك بها بخصوص النوم .. وفكرى فى مسألة الذهاب إلى المستشفى .

يبدو أنها اقتنعت بالفكرة لأنها قالت :

ــ حسنًا .. كم من الوقت سأبقى هناك ؟

ــ على حسب حالتك .. المهم أن تنامى هناك أطول فترة ممكنة حتى يستطيعوا دراسة حالة السرنمة .. أما بالنسبة لموعد الخروج سيكون حسب رأى الأطباء هناك .

فكرت قليلاً ثم قالت :

ــ حسنًا .. أنا موافقة .. لكن زوجى ربما يرفض أن أغيب عن المنزل هذه الفترة .

ــ اتركى هذه المسألة لى .. سوف أقنعه .. أحضريه فقط إلىَّ العيادة فى أى يوم وسوف أتحدث معه .. وأنا متأكد أنه لن يقف فى طريق علاجكِ .. طالما أنه يحبكِ كما تقولين .

قالت بخجل :

ــ المسألة أنه لن يستطيع تحمل ابتعادى عنه .

ابتسمت .. ثم دق جرس الهاتف مجددًا :

ــ آلو .. أهلاً كيف حالكِ يا حاجة ؟.. الحمد لله .. يبدو أن الأخبار وصلتكِ .. كيف تريدينني أن أبلغكِ بأخبار كهذه ؟!.. لم أرد جلب الحزن لكِ .. من الذى أخبرك ؟.. لابد أنه (سراج) .. الحمد لله أنا بخير .. نعم خطيبتى تزوجت .. ولقد حضرت فرحها .

ضحكت بألم ثم نظرت للسيدة (إنعام) .. لابد أنها مندهشة مما أقول .

لكنى لم أجدها مكانها ! متى خرجت ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

عدت لاستكمال المكالمة مع أمى :

ـ .. هذا هوما حدث يا حاجة .. لا أكذب عليكِ .. (نادين) تزوجت .. لا .. لم تكرهنى .. هى فقط نسيتنى .. لا لم تفقد الذاكرة .. نسيتنى .. الموضوع طويل سوف أحكه لكِ عندما آتى لزيارتكِ .. لا .. لا .. لا أفكر فى الزواج الآن .. أعلم أن هناك عرائس كثيرات فى القرية .. أعرف (حسناء) .. و (وداد) .. نعم .. وأعرف (سعاد) أيضًا .. (سوسن) من ؟.. آه تذكرتها .. جميلة .. لا بأس بها .. انتظرى .. لا .. وأعرف (زينات) .. (فوزية) من ؟.. لا .. كله إلا هذه .. نعم أعرف (بدرية) .. و(نيرمين) .. و(نيفين) .. و(علياء) .. و(رشا) .. و(عبير) .. و(دعاء) .. (يسرية) من ؟.. لا .. لم أرها من قبل .. على أى حال أنا لا أفكر فى الزواج الآن يا حاجة .. صدقينى .

* * *

رأيت (وائل) عند الباب فسألته :

ـ من الحالة التالية ؟

تردد قليلاً قبل أن يسألنى :

ـ هل أدخل المهندس (عزيز شعبان) ؟

ـ هل هذا دوره ؟

ـ لا .

ـ حسنًا .. أدخِل من أتى دوره .

ـ ولكن ..

قلت بلهجة جادة حادة :

ـ هل سمعتنى ؟

وانصرف (وائل) دون أن ينطق بكلمة أخرى وبعد قليل دخلت الحالة التالية و...

ـ اسمى (حسين مدبولى) .

ـ أهلاً وسهلاً .

ـ كم عمرك ؟

ـ اثنان وعشرون عامًا .

ـ متزوج ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ لا .. أعزب .

ــ حسنًا .. مم تشتكى يا أستاذ (حسين) ؟

ــ مشكلتى أننى أسير أثناء النوم .

ما هذا ؟! حالة أخرى تسير أثناء نومها .. يبدو أن هذا هو يوم السائرين نيامًا أو المسرنمين .

واستمعت إلى الأستاذ (حسين) الذى ..

ولكن هذه حالة أخرى ..

حالة خاصة جدًا

جدًا جدًا

جدًا

* * *

فى نهاية اليوم .. دخل (وائل) الممرض فسألته بإرهاق :

ــ أدخل الحالة التالية .

فاجأنى قائلاً :

ــ الأستاذ (نظمى عيد) كان آخر حالة .

سألته مندهشًا :

ــ هل تعنى أن العيادة الآن خالية تمامًا من المرضى ؟

ــ نعم .. لا يوجد أحد سوانا .

ــ وماذا عن المهندس (عزيز) ؟

ــ لقد رحل منذ زمن .

قلت بغضب :

ــ متى ؟

ــ قبل خروج الأستاذ (حسين) من عندك .. يبدو أنه لم يطق الانتظار خاصة أنه علم أنك لن تدخله إلا فى دوره .

ــ هل أخبرك بالأمر الذى أتى من أجله ؟

ــ لا .

ــ هل أخبرك متى سيأتى مرة أخرى ؟

ــ لا .. لقد انصرف دون أن يقول شيئًا

Looloo
www.dvd4arab.com

شعرت ببعض الحيرة .. ما الذى كان يريده المهندس ؟ ولماذا زارنى فى عيادتى ؟ ليتنى أدخلته .. كنت سأعرف وقتها إجابة هذه الأسئلة .

تُرى هل سيزورنى فى عيادتى مرة أخرى ؟

فوجئت بـ (وائل) يسألنى بهدوء سؤالاً أخرجنى من بحر التساؤلات :

ـ كيف حالك الآن يا دكتور ؟

* * *

9 ـ كيف حالك الآن ؟

سألتنى د. (ريهام) قبل أن أدخل شقتى :

ـ كيف حالك الآن ؟

التفت لها واتجهت نحوها حيث كانت واقفة أمام باب عيادتها المقابلة لشقتى وقلت بابتسامة هادئة :

ـ الحمد لله .. بخير .. أتعلمين كم مرة سمعت فيها هذا السؤال ؟

ابتسمت قائلة :

ـ الجميع يريد الاطمئنان عليك .. فلا تنزعج من هذا .

ـ لقد مر شهر .. أليست مدة كافية ؟

ـ نعم .. مر شهر بالفعل على يوم فرحها .. ولكن هذا هو أول يوم تعود فيه إلى عيادتك منذ يوم فرحها .

ـ والحمد لله .. مر اليوم بسلام .. ولم يحدث شىء .. لم ألتهم أذن مريض ولم أقضم أصابع أحد ..

ابتسمت قائلة :

ـ أعتقد أنك كنت تريد التهام أحدهم اليوم .

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ تقصدين من ؟

قالت بخبث :

ـ أنت تعرف .

تذكرت أنى أخبرتها بمسألة حضور المهندس (عزيز) إلى عيادتى عندما كنت أحدثها عبر الهاتف .. قلت :

ـ لا .. ليس لهذه الدرجة .

سألتنى بفضول :

ـ ماذا فعلت معه ؟

وقبل أن أجيبها ألقت سؤالاً آخر :

ـ ما الذى كان يريده ؟

أجبتها قبل أن تلقى على مسامعى سؤالاً ثالثًا :

ـ لا أعرف .

وقبل أن أفسر لها الأمر رأيت الآنسة (شيرين) ممرضة د. (ريهام) تخرج من إحدى الغرف لتتجه نحونا .. وتسأل الأخيرة قائلة :

ـ هل تريدين منى أى خدمة يا دكتورة ؟

ـ لا .. شكرًا .. يمكنك الانصراف .

لمحتنى فسألتنى :

ـ كيف حالك الآن يا د.(ياسين) ؟

* * *

نمت فى سريرى وأنا أفكر فى مسألة المهندس (عزيز) وأشعر بندم شديد لأنى لم أدخله على الفور .. تُرى ما هو الأمر الذى دفعه لزيارتى ؟ ولماذا لم يقم بهذه الزيارة طوال الفترة الماضية ؟ لماذا الآن ؟ ما الذى يريده ؟ ولماذا زارنى فى عيادتى ؟ ألا يعلم عنوان شقتى ؟

دق جرس الهاتف ليقطع تفكيرى .. هل من الممكن أن يكون هو ؟.. رفعت السماعة بسرعة فسمعت من تقول :

ـ كيف حالك الآن يا دكتور ؟

هذه هى المرة الرابعة والسبعين بعد المائة التاسعة بعد الألف السادسة بعد المليون الثالث التى أسمع فيها هذا السؤال فى هذا اليوم .

ماذا أفعل ؟ هل أكتب لافتة (الحمد لله أنا بخير) وأعلقها على صدرى حتى يراها الجميع ويكفوا عن إزعاجى بهذا السؤال المكرر ؟.. هل أضع جهاز رد على المكالمات مسجلاً عليه عبارة (الحمد لله أنا بخير .. شكرًا على السؤال .. إن كنت تريدنى فى أمر آخر سجل رسالتك بعد سماع الصفارة) ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

حاولت التماسك حتى لا أنفجر وقلت :

ــ الحمد لله .. أنا بخير .. كيف حالك أنت ؟

أجابتنى السيدة (ماجدة) ــ فراشة الأحلام ــ عبر الهاتف قائلة :

ــ الحمد لله .

الذين لا يعرفون السيدة (ماجدة) .. يمكننى تعريفها لهم بسطور قليلة .. سأقول أنها سيدة تحلم وأحلامها تتحقق .. ولكنها ذهبت إلى د. (نجيب الشارودى) فجعلها تنسى أحلامها كلما استيقظت .. وأحب أن أذكركم أن د.(نجيب) هو نفسه الطبيب الذى جعل (نادين) تنسانى تمامًا .

قالت عبر الهاتف :

ــ كنت أريد أن أخبرك بشىء ولكنى مترددة .

ــ لا .. أخبرينى .

ــ عدنى ألا تغضب مما سأقوله .

اعتصرت السماعة من الغيظ وقلت :

ــ أعدك .

ــ أنت تعلم .. بل وأصبحت متأكد أن أحلامى تتحقق .

ــ ..... .

ــ دكتور .. هل أنت معى على الخط ؟

ــ نعم .. أكملى .

ــ وأكبر دليل على أن أحلامى تتحقق هو حلمى الذى رأيت فيه مصرع د. (نجيب الشارودى) ولولا حلمى ما كنتم استطعتم التوصل للقاتل .

ــ ..... .

ــ دكتور .. هل نمت ؟

ــ لا .. أكملى .

ــ لذا لا أعتقد أنك تستطيع مجادلتى الآن فى مسألة أحلامى .. لقد أصبحت مقتنعة ..

قاطعتها لأنهى هذه المكالمة الثقيلة وأنعم بنوم عميق وأستريح من عناء يوم طويل و....

ــ أعترف بأن أحلامك تتحقق .. ماذا بعد ؟

صمتت قليلاً قبل أن تفاجئنى قائلة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ لقد حلمت .

ما هذا ؟!

السيدة (ماجدة) حلمت وتريد أن تخبرنى بحلمها ! أى أنها مازالت تتذكر حلمها بعد استيقاظها .

لقد جعلها د. (نجيب) تنسى أى حلم تحلم به بمجرد استيقاظها من النوم .. فهل انتهى مفعول ما قام به ؟

وهل هذا يعنى أن المفعول قد ينتهى أيضًا مع (نادين) ؟

لِمَ لا ؟

وربما انتهى بالفعل ..

وتذكرتنى (نادين) ..

وعادت كل ذكرياتنا إليها ..

وربما زوجها زارنى اليوم بسبب هذا .

هل هذا معقول ؟

يا إلهى !

* * *

10 ـ جريمة قتل ..

أوت د. (ريهام) إلى سريرها وهى تشعر بسعادة كبيرة .. لقد تحدثت اليوم مع حبيبها د. (ياسين العوضى) وشعرت أنه قد نسى خطيبته السابقة و حبه القديم (نادين) وأنه قد تجاوز أزمته العاطفية وأصبح مستعدًا لخوض تجربة الحب من جديد ..

الطريق أصبح خاليًا أمامها الآن .. لقد وقف الحظ بجانبها من جديد ، ولكن ..

لماذا زار المهندس (عزيز) ـ زوج (نادين) ـ حبيبها فى عيادته ؟

هذا الأمر محير !

لكنها لن تشغل بالها بالتفكير والبحث عن إجابة لهذا السؤال .. بل ستفكر فى سؤال آخر أهم بالنسبة لها وهو :

ـ كيف تلفت نظر د.(ياسين) إليها ليقع فى حبها ويقرر الزواج منها ؟

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

سألتنى السيدة (ماجدة) عندما صمتَ لفترة طويلة :

ــ هل نمت ؟

ــ لا .. كنت أفكر .

ــ فى ماذا ؟

ــ لا يهم .. كررى ما قلته .

ــ كنت أقول أننى حلمت .

لابد أنها شعرت بسعادتى وأنا أسألها :

ــ هل يعنى هذا أن المفعول قد انتهى وأصبحتِ تتذكرين أحلامكِ بعد استيقاظكِ ؟

لم تجب سؤالى وقالت :

ــ لقد حلمت بك .. رأيتك فى ..

قاطعتها قائلاً :

ــ أجيبى سؤالى من فضلك .

ــ هذا السؤال ليس مهمًا .. المهم هو الحلم .

ــ لا .. السؤال عندى أهم .

ــ حسنًا .. مازلت لا أتذكر أحلامى .

شعرت بالإحباط وخيبة الأمل وسألتها :

ــ وكيف عرفت بتفاصيل حلمكِ ؟

ــ عن طريق جلسة تنويم مغناطيسى .

ــ هل مازلت مهووسة بمسألة أحلامكِ .. حتى بعد أن أراحكِ د.(نجيب) منها ؟

ــ لا .. ولكن هذا الحلم فقط هو الذى أثار اهتمامى ولابد أن أخبرك به .

ــ لا أريد أن أعرفه .

ــ ولكنى أريد أن أخبرك به .

وبعد إلحاح تركتها تخبرنى به و...

ــ لقد حلمت بزواجك من (شيرين) وأنك ستموت فى اليوم التالى بحادثة شنيعة .

ضحكت عندما سمعت حلمها وقلت :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ والمفروض ألا أتزوجها حتى لا يتحقق بقية الحلم وأموت !

لابد أنها طارت من السعادة قبل أن تقول :

ـ بالضبط .

ـ حسنًا .. شكرًا على نشرة الأحلام .. تصبحين على خير .

ـ وأنت من أهله .. انتظر .. لا تضع السماعة .

ـ ماذا ؟

ـ ألن تتزوجها حقًا ؟

ـ هل أنا قلت هذا ؟

ـ هل ستتزوجها ؟

ـ هل أنا قلت هذا ؟

ـ هل ستتزوجها أم لا ؟

ـ ما الذى تريدينه ؟

ـ ألا تتزوجها .

ضحكت قائلاً :

ـ حاضر .. أى أوامر أخرى ؟

ـ الأمر لله .. أنا فقط أنصحك لأنى لا أريدك أنت تموت .. لقد حلمت بموتك بعد زوا ...

قاطعتها لأنهى هذا الحوار السخيف :

ـ أنت تكذبين .. أنت لم تحلمى بموتى .. لقد قلت ذلك لكى ترعبينى من فكرة الزواج منها .

ـ هل تنوى حقًا الزواج منها ؟

ـ وحلم الزواج نفسه لم تحلمى به .

ـ لا .. لقد حلمت بزواجك من ..

قاطعتها لأخبرها بالحقيقة :

ـ لقد كذب د. (صقر) عليكِ عندما علم أنكِ مصرة على معرفة حلم زواجى وربما تذهبين إلى خبير آخر فى التنويم المغناطيسى من أجل ذلك .. لقد أخبركِ أنكِ حلمت بأنى سأتزوج الآنسة (شيرين) .. لكن هذه ليست الحقيقة .. والآن أنت اخترعت حلم آخر مبنى على حلم كاذب .. لكى تمنعينى من الزواج .

Looloo
www.dvd4arab.com

فوجئت بها تسألنى :

ـ إن كنت لم أحلم بزواجك من (شيرين) فبم حلمت إذن ؟

* * *

كان كابوسًا مريعًا ..

لقد حلمت أننى استدعيت المهندس (عزيز) إلى شقتى .. وجلبت المسدسين من درج مكتبى وقتلته بأحدهما وهو حاول قتلى بالمسدس الآخر .. الحمد لله أنى استيقظت فى اللحظة المناسبة قبل وصول الرصاصة لرأسى(*) .

يبدو أننى تأثرت بحديث السيدة (ماجدة) عن الأحلام ، وأصبحت أحلم مثلها بأشياء شنيعة .. ولكنها قد ارتاحت من هذه اللعنة للأبد .. لم تعد تتذكر أيًا من أحلامها بمجرد الاستيقاظ .. وبهذا لن تقلق مجددًا من مسألة تحققها .

لقد أنهيت المكالمة مع السيدة (ماجدة) دون أن أخبرها بحلمها .. وهى لا تزال مصرة على معرفته .. ليتنى مثلها أستيقظ دون أن أتذكر ما حلمت به ولن أبحث وقتها عمن يخبرنى بأحلامى .

(*) الحلم بالتفصيل فى الفصل الأول من هذه الرواية

يا له من كابوس شنيع !

من الطبيعى أن أحلم بمثل هذا الكابوس .. أولاً : لأنى أكره ذلك الرجل جدًا ..

ثانيا : لأنه أتى لعيادتى بالأمس وانصرف دون أن أعلم سبب الزيارة ولقد ظللت أفكر فى السبب منذ خروجى من العيادة وحتى أغمضت عيونى للنوم .

الحمد لله أنه كان حلمًا لأنى لا أريد أن أكون قاتلاً .. وبالتأكيد لا أريد أن أكون مقتولاً .

نظرت إلى النتيجة المعلقة على الحائط .. نظرت إلى تاريخ اليوم ..

لقد مر أكثر من شهر على زواج (نادين) ..

نهضت من سريرى لأبدأ يومى .. ولكنى رأيت أمامى ما أثار الرجفة فى ضلوعى .

كانت فى انتظارى مفاجأة مريبة .

درج المكتب كان مفتوحًا ..

Looloo
www.dvd4arab.com

لمـــاذا ؟

نظرت فيه وبحثت عن المسدسين .. لم أجدهما .

أين ذهبا ؟

* * *

كان التخمين الأول هو أننى تعرضت للسرقة ..

قمت بعمل فحص كامل لشقتى .. لم أجد شيئًا مختفيًا منها سوى المسدسين .. أى أن اللصوص لم يسرقوا ســوى المسدسين .. وهذا أمر محير لأن الشقة بها أشياء كثيرة أغلى وأهم .. فلماذا لم يسرقوها ؟.. والسؤال الأكثر أهمية : كيف علمــوا بوجــود المسدسين ؟

ولعدم منطقية التخمين الأول فكرت فى تخمين آخــر .. هــو أننى من أخفيت المسدسين .. لقد كنت أفكــر منــذ زمــن فــى التخلص منهما .. ويبدو أننى فعلت ذلك ونسيت .

أو أننى احتفظت بهما فى مكان آخر ونسيت .

أنا لا أتذكر هذا على الإطلاق ولكن يبدو لى احتمالاً منطقيًا .

على أى حــال لم يعــد مكانهما فى شقتى الآن .. لقــد تحقق ما أردته .. لا يهمنى معرفة مكان إقامتهما الحالى .

وبدأت يومى فى العيــادة ولم أشــغل بالى بمسألة المسدسين الضائعين أو الحلم الغريب الذى حلمت به ..

توقعت زيارة المهندس (عزيز) لعيادتى .. وربما يكون أول زائر حتى لا ينتظر دوره .

ولكنه لم يأت .. فلم أشغل بالى .

قابلت الأستاذ (رامى) زوج السيدة (إنعام) .. هو بالفعــل يشبه (حسين فهمى) و(رشدى أباظه) كما أخبرتنى زوجته .. يشبه الأول فى أشياء ويشبه الثانى فى أشــياء أخــرى .. لقــد أسأت الظن بها وأعتقدت أنها تصفه بعــين الحبيبــة .. لكنهــا صدقت فى وصفها له .

جهزت نفسى لإلقاء خطبــة طويلــة عــن أهميــة علاجهــا بالمستشفى وضرورة بقائها هناك لفترة وخطورة تطور الحالة .. إلخ .. لكنى فوجئت به لا يحتاج إلى مثل هذه الخطب .. لقد بدا متفهمًا جدًا لمسألة مبيتها بالمستشفى وحريصًا على تلقيها العلاج اللازم .. وهذا وفر علىّ الكثير من الوقت والمجهود .

Looloo
www.dvd4arab.com

يبدو أنه يحبها فعلاً ويحرص على علاجها .. أو أنه عانى كثيرًا من مسألة السرنمة ويخاف على نفسه منها .

أخبرته بعنوان المستشفى وطمأنته أننى سأهتم بحالتها من خلال المتابعة المستمرة مع الأطباء هناك .

ومر اليوم كأى يوم عادى آخر .. كثير من الحالات تقطعها بعض المكالمات التى يطمئن أصحابها على حالتى .

* * *

فى اليوم التالى ..

كنت أجلس فى المستشفى أقرأ جريدتى المفضلة بجوار مجموعة من أصدقائى الأطباء .. منهم من يتحدث مع زميله ومنهم من يحتسى الشاى ويتأمل ومنهم من يكتب على عجل تقريرًا ما .

وفجأة ..

لمحت خبرًا أثار انتباهى وذعرى فى نفس الوقت .. خبرًا فى صفحة الحوادث عن جريمة قتل .

مصرع المهندس (عزيز شعبان) على يد قاتل مجهول .

يا إلهى !

* * *

11 ـ المجهـــول ..

وقعت الجريمة فى نفس الليلة التى حلمت بها .. ما الذى يعنيه هذا ؟ طبعًا لا أقول أننى أحلم مثل السيدة (ماجدة) بأحلام تتحقق .. بل أقول أننى محقق الأحلام هنا ..

القاتل المجهول .

لكن هذا كان حلمًا .. لم يكن واقعًا .

لا يمكن أن أقتله .. لا يمكن .. لقد كان مجرد كابوس شنيع .. ولكن ..

أين المسدسين ؟

أيـــن ؟

هل الحلم كان واقعًا .. هل هذا معقول ؟

طبعًا أقصد جزءًا من الحلم .. الجزء الخاص بقتلى له .. أما بقية الحلم لم يحدث بالتأكيد لأنى مازلت حيًا أُرزق ولأن الحلم كان فى شقتى وشقتى خالية حاليًا من أى جثث .. فهل قتلته ثم حلمت بذلك ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

هل هذا الحلم هو نوع من أنواع تأنيب الضمير .. مثل المجرمين الذين يحلمون بضحاياهم تنتقم منهم .. ولهذا حلمت أنه يقتلنى .

هل قتلته حقًا ؟

هل ؟!

أنا أكرهه .. وأعلم أنى أكرهه .. لكن ليس لدرجة قتله .. هل من المعقول أن أقتله ثم أنسى ذلك ؟! ربما ..

ربما أجبرنى عقلى على نسيان الجريمة التى ارتكبتها لأنها تخالف مبادئى وطبيعتى المسالمة .. فنسيت كل ما فعلته حتى لا أعيش حياتى البائسة فى جحيم مستمر .. متوهمًا رؤية دماء تقطر من بين أصابعى على الدوام .. تلطخ ملابسى كلها .. ورؤية جثته فى كل زمان ومكان وسماع صراخه الأخير يتردد فى أذنى للأبد .

هل نسيت حقًا ؟

أم إنها حالة فصام ؟

ربما قتلته شخصيتى الأخرى الشريرة .. خرجت ليلاً وقتلت المهندس لتنتقم منه على زواجه من حبيبة قلبى (نادين) .

لكن ..

ربما ليس هذا هو المهندس (عزيز شعبان) الذى أعرفه .

ربما كان هذا مجرد تشابه أسماء .. و صورة الجثة الملحقة بالخبر لا تبين تفاصيل أوملامح واضحة للقتيل .

كيف أعرف الحقيقة ؟ لا يمكننى الاتصال بحماتى السابقة والسؤال عن زوج ابنتها (هل مات مقتولاً أم لا ؟) .. هذه ليست من الأسئلة المفضلة التى يمكن أن تسألها لحماتك السابقة .

ذهبت إلى مقر الجريدة لأسأل عن الخبر ولأعرف تفاصيل أكثر ولكن ..

للأسف لم أستطع معرفة معلومة جديدة هناك .. لأنهم يعتبرونها معلومات سرية تخص من لهم علاقة بالخبر فقط ..

وبدأت أفكر جديًا فى مسألة الاتصال بحماتى .. ربما أتصل فيرد هو .. ربما كان فى زيارة لها مع زوجته .. سأعرف وقتها أنه مازال حيًا .

وربما ترد (نادين) ..

لا .. لا أريد أن أسمع صوتها مرة أخرى .. هى الآن زوجة رجل آخر .. أو أرملته ..

Looloo
www.dvd4arab.com

لقد خرجت من حياتى ونسيتها .. لا أريد الرجوع للعذاب مرة أخرى .

* * *

فى صباح اليوم التالى ..

سألتنى د.(ريهام) بابتسامة جذابة وهى تقف أمام باب عيادتها المفتوحة :

ــ ما الأخبار ؟

ــ الحمد لله .

ثم ضحكت وقلت لها :

ــ أين ذهب سؤال (كيف حالك الآن ؟) الذى اعتدت سماعه ؟

نظرت لها جيدًا .. شعرت أن هناك شيئًا مختلفًا فيها .. لا أدرى ما هو ولكنى أشعر به .. قالت بصوت ناعم جميل :

ــ لقد توقفت عن استخدام هذا السؤال عندما علمت أنك تتضايق منه .

أشم رائحة عطرة ذكية فى المكان .. من أين تأتى هذه الرائحة ؟.. سألتها :

ــ هل أنت مشغولة الآن ؟

ابتسمت ابتسامة هادئة وقالت :

ــ لا .. العيادة خالية .. لم يأت أى مريض .. حتى (شيرين) لم تأت بعد .. يبدو أننى أتيت مبكرًا جدًا .

ــ هذا من حسن حظى لأراك قبل ذهابى للعيادة .

ابتسمت لجملتى فقلت لها :

ــ كنت أريد أن أحدثك فى أمر مهم .

ازدادت ابتسامتها ولا أدرى السبب وقالت :

ــ تفضل .

ــ موضوع خاص .

ــ تفضل .

ــ لا يمكن أن أقوله هنا .

ــ هل تحب أن نلتقى فى الخارج ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ لا .. الموضوع عاجل .

ازدادت ابتسامتها بدرجة غير طبيعية وقالت :

ـ تفضل عندى فى العيادة .

وفى عيادتها .. جلست على أحد المقاعد وبدأت حديثى بالكذب قائلاً :

ـ الموضوع يتعلق بأحد المرضى ..

اختفت ابتسامتها تمامًا ولم يعد من آثارها أدنى ذرة .. وظهرت ملامح الجدية على وجهها .. من الواضح أنها مهتمة جدًا بما سأقوله فشجعنى هذا على الاستمرار :

ـ إنه يكره شخص ما بدرجة كبيرة جدًا لدرجة أنه حلم أنه يقتله .. وفى اليوم التالى وجده مقتولاً .

لم تقل حرفًا فأكملت :

ـ ليس هذا فحسب ولكنه اكتشف اختفاء مسدسه .

ـ من الواضح أن هناك قاتلاً قد سرق مسدس المريض لينفذ جريمته ويتهمه فيها .

ـ أنا لا أتحدث هنا عن قصة فيلم عربى .. فالمريض ليس متهمًا فى أى جريمة .. ومسدسه ليس موجودًا فى مسرح الجريمة .. ربما يكون سلاح الجريمة مسدسه وربما لا .. والقتيل ربما يكون الشخص الذى حلم به وربما لا .

ـ أنا لا أفهم شيئًا .

ـ ولا أنا .

سألتنى بحدة :

ـ ما الذى تريد أن تسألنى عنه ؟

ـ أريد أن أسألك .. هل من الممكن أن يكون الحلم هو الجريمة التى حدثت بالفعل .. وعقله الباطن صوّر له الجريمة على أنها حلم حتى يريحه من عذاب الضمير ؟.. هل من الممكن أن يكون المريض قاتلاً وينسى ما قام به حتى لا يتذكره دائمًا فيعيش حياته معذبًا ؟ وربما يكون هذا المريض مسرنمًا ؟.. لِمَ لا ؟.. ربما سار أثناء نومه ونفذ جريمته ثم ترك سلاحه هناك دون بصمات أوربما أخفاه ثم عاد إلى بيته ونام فى سريره وحلم .. ولكن كيف يتأكد هذا المريض من مسألة السرنمة ؟.. لابد أن يراقبه أحد .. لكنه يعيش وحيدًا .. ما الحل إذن ؟.. الحل

Looloo www.dvd4arab.com

هو أن يستخدم كاميرا فيديو ويشغلها قبل نومه وفى الصباح يشاهد ما سجلته طوال الليل .. وقتها سيعرف إن كان يسرنم أم لا .. فكرة جيدة .. شكرًا جزيلاً يا دكتورة .

ـ أنا لم أقل شيئًا .

* * *

12 ـ الدليـــل ..

فى نفس اليوم ..

قابلت السيدة (ماجدة) أثناء صعودى وهبوطى من العيادة وكالعادة تسألنى عن حالتى الصحية والنفسية و... عن حلمها طبعًا .

قابلت حالات كثيرة فى هذا اليوم .. لم أنتبه لمعظم أحاديثهم لأن تفكيرى كان مشتتًا فى أحيان كثيرة بسبب ما حدث لى .. والتفكير فيه .

استخدمت المسجل الصغير لتسجيل أحاديثهم على شرائط عندما فشلت فى التركيز معهم طوال الوقت .. على أمل أن أعود لهذه الشرائط لاحقًا وأستمع لها بتركيز شديد وأعوض ما فاتنى فى الجلسات .

وبدلاً من تسجيل بيانات وملحوظات عن المرضى رحت أرسم مسدسين فى المفكرة .. وعلامات استفهام كثيرة حولهما .

فكرت فى شراء كاميرا فيديو فى طريق عودتى للمنزل .. لأسجل ما يحدث لى أثناء نومى .

Looloo
www.dvd4arab.com

هل أنا أسرنم أم لا ؟

هل ..... ؟

اتصلت بحماتى السابقة .. تمنيت أن أسمع صوت زوج ابنتها على الطرف الآخر لأتأكد أنه لا يزال على قيد الحياة ولم يمت برصاص مسدس .

لكن للأسف .. لم يرد أحد .

* * *

فى صباح اليوم التالى ..

ذهبت إلى عيادة د. (ريهام) .. لم أركب سيارتى أو أصعد الدرج .. فكما أخبرتكم عيادتها فى الشقة المقابلة لشقتى .

رأيت الآنسة (شيرين) فسألتها :

ــ هل الدكتورة موجودة ؟

ــ أهلاً د. (ياسين) .

ــ أهلاً وسهلاً .. هل هى موجودة ؟

ــ نعم .

لمحت نظرات الفضول الجائعة للمعرفة تطل من عينيها تجاه ما أحمله بيدى .. فأخفيته وراء ظهرى وسألتها :

ــ هل معها أحد ؟

ــ لا .

طرقت الباب فسمعت صوت د. (ريهام) من الداخل تقول :

ــ ادخلى .

شعرت ببعض الحرج وقلت :

ــ أنا د. (ياسين) .

ــ آسفة .. تفضل يا دكتور .

فى داخل الغرفة .. وبعد الترحيب قلت :

ــ هل تتذكرين الحالة التى حدثتكِ عنها بالأمس ؟

ــ المريض الذى كان يحلم بـ ...

قاطعتها قائلاً :

ــ نعم .

Looloo
www.dvd4arab.com

استجمعت شجاعتى وقلت لها :

ــ لقد كذبت عليك .

ــ كيف ؟

ــ ذلك المريض هو أنا .

سألتنى بدهشة :

ــ ماذا ؟

ــ نعم هو أنا .. والرجل الذى حلمت أنى أقتله هو المهندس (عزيز شعبان) .

قالت بقلق :

ــ زوج (نادين) ؟

ــ بالضبط .. لقد حلمت أنى أقتله .. و بعدها قرأت فى الجريدة أنه قد قُتل فى نفس الوقت الذى حلمت فيه .. لست متأكدًا بعد أنه هو .. ولكنهم كتبوا أن القتيل مهندس واسمه (عزيز شعبان) .. احتمال الصدفة ضئيل .. نفس الاسم ونفس الوظيفة ونفس وقت حدوث الجريمة .

أخبرتها بتفاصيل الحلم مرة أخرى .. حاولت أن تخفى قلقها حتى لا تزيد من قلقى وتوترى .. قالت :

ــ لابد أن نتأكد أولاً أنه هو .. وحتى لو تأكدنا من ذلك فليس من الضرورى أن تكون أنت القاتل لمجرد أنك حلمت بموته .. ولا تنس أنك حلمت أيضًا بأنه يقتلك وهذا لم يحدث بالتأكيد .

ــ الحلم عبارة عن ذكريات مع خيال .. وهناك أسباب أخرى غير الحلم تجعلنى أظن أننى القاتل .. هل تتذكرين المسدسين الذين ...

قاطعتنى قائلة بقلق لم تستطع إخفاءه هذه المرة :

ــ نعم .. أتذكرهما .. ألم تتخلص منهما بعد ؟.. يمكنك أن تدفنهما فى أى أرض خراب أو تلقيهما فى البحر أو ...

بترت عبارتها لتسألنى بقلق :

ــ هل تريد القول بأن المسد ..

قاطعتها قائلاً :

ــ ليتنى تخلصت منهما .

Looloo
www.dvd4arab.com

قالت بذعر :

ــ هل تعنى أن المهندس مات برصاص من أحد المسدسين ؟

ــ هناك احتمال كبير أن هذا ما حدث .

ــ لماذا ؟ هل وجدت رصاصًا مفقودًا من المسدس ؟

ــ ليس الرصاص فقط .. بل المسدس نفسه .

ــ كيف ؟

ــ بحثت عن المسدسين ولم أجدهما .. اختفيا بعد ليلة الجريمة .

ــ هذا ليس دليلاً .. ربما تخلصت منهما ونسيت ذلك .

فاجأتها قائلاً :

ــ هذا ليس آخر الأدلة .

قالت بقلق :

ــ ما الذى تعنيه ؟

ــ لقد فكرت فى مسألة السير أثناء النوم .. خاصة أننى أعالج الكثير من المسرنمين هذه الأيام .. منهم من أرسلته لمستشفى

ومنهم من جعلت أهله يراقبونه .. أما أنا فأعيش وحدى .. لا يوجد من يراقبنى .. ولهذا فكرت بالأمس ــ عندما كنت فى عيادتك ــ أن أستخدم كاميرا فيديو تسجل ما يحدث لى أثناء نومى .

قالت لى بتوتر :

ــ نعم .. أتذكر شيئًا كهذا .

رفعت أمام وجهها كاميرا الفيديوالصغيرة التى أحملها بيدى وكنت أداريها خلف ظهرى .. أعطيتها لها وقلت :

ــ ها هو الدليل .

ــ ما هذا يا د. (ياسين) ؟

ــ هذا هو الدليل على أننى أسير أثناء نومى يا د.(ريهام) .

نظرت د.(ريهام) بقلق إلى الكاميرا وارتعد جسدها فى خوف .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

13 ـ الرجل المسرنم ..

ينقسم النوم بناء على نوع النشاط الكهربى فى الدماغ إلى مرحلتين أساسيتين وهما مرحلة حركة العين غير السريعة أو (Rapid Eye Movement–Non) ونختصرها إلى (NREM) ومرحلة حركة العين السريعة أو (Rapid Eye Movement) ونختصرها إلى REM)) .

المرحلة الأولى (NREM) تتكون من أربع مراحل تبدأ من أول الخلود إلى النوم وتستمر لمدة حوالى 90 دقيقة قبل أن تبدأ مرحلة حركة العين السريعة .. وتكون وظائف الجسم الفسيولوجية وكذلك نشاط الدماغ فى أقل مستوى لها .. فيقل معدل ضربات القلب .. ينخفض كل من ضغط الدم ومعدل التنفس وكذلك كمية الدم المتدفق للدماغ و باقى أجهزة الجسم بشكل طفيف .

فى المرحلة الأولى والثانية من (NREM) يكون النوم خفيفًا ويبدآن مع بداية النوم .. بعد ذلك تبدأ المرحلة الثالثة والرابعة أو ما يعرف بالنوم العميق وتسميان مرحلة النوم دلتا

(Delta) وهاتان المرحلتان مهمتان لاستعادة الجسم نشاطه ونقص هاتين المرحلتين من النوم ينتج عنه النوم الخفيف غير المريح والتعب والإجهاد خلال النهار .

بعد حوالى التسعين دقيقة تبدأ مرحلة الأحلام أو مرحلة حركة العين السريعة (REM) وهى المرحلة التى تحدث فيها الأحلام .. يكون ضغط الدم والتنفس وضربات القلب شبيهة بنشاطها أثناء الاستيقاظ .. وهذه المرحلة مهمة لاستعادة الذهن نشاطه .

المرور بجميع مراحل النوم يعرف بدورة نوم كاملة .. وخلال نوم الإنسان الطبيعى (6ـ 8 ساعات) يمر بحوالى 4 ـ 6 دورات نوم كاملات .. ومن الجدير بالملاحظة أن فترة الأحلام تستغرق عدة دقائق فقط من كل 90 دقيقة لتبدأ بعدها دورة جديدة .. أما السير أثناء النوم فهو أحد اضطرابات الحركة التى تحدث خلال مرحلة النوم العميق (الثالثة والرابعة من NREM) .

* * *

قمت بتشغيل الكاميرا أمام د.(ريهام) ..

رأينا صورتى وأنا نائم فى السرير .. لا أعرف المرحلة التى وصلت إليها فى النوم .. هل هى (NREM) أم (REM) ؟

Loolo

قالت د.(ريهام) :

ــ هذا أنت .. هذه غرفتك .

أجبت بهدوء :

ــ نعـم .

قالت بخجل :

ــ أول مرة أراك وأنت نائم .

كيف لم أنتبه لهذا ؟!.. من المفروض ألا أسمح لها بمشاهدة شيء شخصي كهذا ..

لقد تعاملت معها على أنها زميلة مهنة وأريد أخـذ رأيهـا .. نسيت أنها امرأة ونسيت أنني رجل ونسيت أننا جيران .. كيـف نسيت كل هذه الحدود التي كنت أفرضها على نفسي ؟

سألتني قائلة :

ــ كيف لم أر يديك وأنت تـضبط زاويـة الكـاميرا أو تبـدأ التسجيل ؟ هل هذه هي أول لقطات تم تسجيلها ؟

ــ الكاميرا بها برنامج مؤقت للتسجيل .. حيث يمكنك ضبطها لتبدأ التسجيل في وقت محدد ولمدة محددة .

قالت لي وهي لا تزال تشاهد ما تعرضه الكاميرا :

ــ مازلت نائمًا .. ولم تقم من سريرك .. لم تسر أثناء نومك بعد .

فاجأتها قائلاً :

ــ ولن تريني .

ــ لماذا ؟ هل كان المشهد ..

قاطعتها قائلاً :

ــ لا .. ولكن الكاميرا لم تصورني وأنا أسرنم .

سألتني متعجبة :

ــ كيف يكون هذا دليلاً إذن على أنك تسرنم ؟

أطفأت الكاميرا وقلت لها :

ــ لأنني لا أتذكر أنني اشتريت هذه الكاميرا ولا أتـذكر أننـي وضعتها لتصورني أثناء نومي .. لقد فعلت هذا كله وأنا نائم .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

وضعت الكاميرا جانبًا وأنا أقول لجارتى د. (ريهام) :

ــ هذه هى الحقيقة .. لا أعلم شيئًا عن هذه الكاميرا ولا أعلم متى اشتريتها ولا أعلم متى وضعتها لتقوم بتصويرى .. وهـذا أكبر دليـل على أننى أسرنم حتى لو لم تعـرض الكاميرا مشهدًا يبين ذلك .. فوجودها وحده يكفى .

كانت د.(ريهام) فى حيرة شديدة .. لا تدرى ماذا تقـول .. قلت لها :

ــ لقد فكرت فى قتل المهندس (عزيز) .. فاختفى المسدسين .. فكرت فى تسجيل نفسى وأنا نائم .. وجدت كاميرا فيديو تـسجل نومى .. فى البداية اعتقدت أن هناك لصوصًا سرقوا المسدسين .. لكن لا أعتقد أن هناك لصوصًا يضعون كاميرا لمـن سـرقوه .. إذن الاحتمـال الوحيد هو أنى أسرنم .. أنا مسرنم !!!.. لا أصدق هذا .

سألتنى متعجبة :

ــ ألا تتذكر شيئًا عن هذه الكاميرا ؟

هززت رأسى نفيًا .. فأمسكت د. (ريهام) الكاميرا وراحـت تتفحصها ثم قالت :

ــ يبدو لى أنها كاميرا باهظة الثمن .

لم تنتظر منى تعليقًا وتابعت :

ــ لو أنك لا تتذكر شراء هذه الكاميرا أو استخدامك لها فـإن هذا لا يعنى أنك تسير أثناء نومك .. ربما تشغلها أثناء السرنمة ولكن ليس معقولاً أن تشتريها من المحل وأنت نائم أيضًا .

كان حديثها منطقيًا .. فسألتها :

ــ إذن ما هو التفسير من وجهة نظرك ؟

ــ سأقول التفسير الأبسط هو أنك اشتريتها أو حصلت عليهـا من صديق ثم نسيت ذلك .

ــ والتفسيرات الأخرى ؟

ــ دعنا لا نفكر فيها الآن .. يجب أن نجمـع أولاً معلومـات كافية قبـل أن نفرض أى فروض .. نبدأ مثلاً بالبحث فى مسألة موت المهندس (عزيز) ونعرف تفاصيل الجريمة ..

ــ أخشى أن أبحث فى هذا الموضوع فأكتشف حقائق قد ...

قالت محاولة تهدئتى :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ لا تقلق .. اترك هذا الأمر لى .. اذهب أنت إلى عيادتك .. ومارس حياتك بصورة طبيعية .. لا تشغل بالك بأى شىء آخر .. وسوف أتحرى عن الأمر وأخبرك بالتفاصيل .. وستكون الأخبار جيدة إن شاء الله .

شعرت ببعض الراحة والطمأنينة بعد سماعى كلماتها الأخيرة .. سألتها :

ــ هل تعتقدين أنى قتلته وأنا نائم ؟

ضحكت ضحكة خافتة وقالت :

ــ يبدو أنك متأثر بمشاهدة مسلسل (عيون) .

نظرت لى فعرفت أنى توقعت إجابة أخرى منها .. فقالت :

ــ لا أعتقد أنك قتلته .

ــ لماذا ؟

ــ هذه ليست طبيعتك .. لا يمكن أن تكون قاتلاً أبدًا .. ولو حدث هذا فلابد أنك كنت تحت تأثير تنويم مغناطيسى .

ــ يبدو لى أنك متأثرة بفيلم (عماد حمدى)(*) .

(*) أقصد الفيلم العربى (المنزل رقم 13) .

نظرت لها فعرفت أنها لم تتوقع منى مثل هذا التعليق .. قلت :

ــ التنويم المغناطيسى لا يمكن أن يجبرنى على فعل لا أريده .

ــ لا تنس أنك كنت تكرهه وكنت تريد موته .

وقبل أن أستكمل تفكيرى فى هذا الاحتمال قالت :

ــ احتمال آخر .. أن تكون تحت تأثير مخدر أو ..

قاطعتها قائلاً :

ــ سواء تنويم مغناطيسى أو مخدر .. من المستفيد من توريطى فى جريمة قتل والتخلص من المهندس بضربة واحدة ؟.. لو أن (أسامة) لا يزال حيًّا لشككت أنه وراء كل هذا .

(أسامة شوكت) هو ابن خال (نادين) ولقد جعلنى من قبل تحت تأثير عقار هلوسة غريب من نوعه(*) .

قالت لى محاولة تهدئة أعصابى :

ــ فلنتأكد أولاً أن زوج (نادين) هو القتيل .

ضحكت قائلاً :

(*) لمزيد من التفاصيل راجع العدد الخامس من السلسلة .

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ يا للسخرية ! أنا أتمنى الآن أن يكون حيًّا .. بعد أن كنت أتمنى فيما مضى أن أراه ميتًا .

* * *

فى نهاية اليوم ..

اتصلت الدكتورة (ريهام) وأخبرتنى أنها علمت بأن ...

ـ القتيل ليس هو المهندس (عزيز شعبان) زوج (نادين) .

ـ حقًّا ؟

ـ نعم .

ـ ولكن ..

ـ تشابه أسماء .

ـ هل أنت متأكدة ؟

ـ نعم .

ـ وماذا عن المسدسين ؟ والكاميرا ؟

ـ دع هذه الأمور الآن .. سنفكر فى شأنها فيما بعد .

ـ هل اطمأننت على زوج (نادين) ؟ فربما يكون قد مات مقتولاً أيضًا و...

ـ لا تقلق .. لقد تحريت عن هذا الأمر أيضًا .. الرجل حى يُرزق وعاد إلى عمله بعد انتهاء إجازة شهر العسل .

لا أعلم هل فرحت بهذا الخبر أكثر أم حزنت لأنه لا يزال حيًّا .. على أى حال فرحت لأننى لم أقتله .. سألتها :

ـ وماذا عن سبب زيارته لى فى العيادة ؟

ضحكت قائلة :

ـ تحرياتى انتهت عند هذا الحد .. لن أستطيع التحرى عن سبب زيارته لعيادتك .

مكالمة د.(ريهام) طمأنتنى كثيرًا .. ولكنى عندما عدت إلى شقتى وفكرت فى الموضوع راودتنى الشكوك .. ربما كذبت علىّ ولم تتحرى عن الخبر وعن القتيل لأنها تظن أنه مجرد تشابه أسماء .. ولهذا لم تشغل بالها بالتحرى عن أشياء تبدو لها معروفة .. وربما كذبت علىّ حتى أستطيع ممارسة عملى دون الانشغال بأمر هذه الجريمة ..

ربما ..

Looloo
www.dvd4arab.com

فهل أتحرى بنفسى وأتأكد من صدق ما قالته د.(ريهام) ؟ أم أصدق ما قالته لأستمر فى حياتى ؟

* * *

فى صباح اليوم التالى ..

نهضت من سريرى وأنا أحاول تذكر بعض الأحلام العجيبة التى حلمت بها .. لا أعلم ما الذى جرى لى .. أصبحت أحلم كثيرًا هذه الأيام !

نظرت إلى المكتب وشعرت بهاجس غريب ..

اتجهت إليه وفتحت الدرج ..

و ...

مفاجأة جديدة .

* * *

14- أحلام كاذبة ..

عندما فتحت درج المكتب وجدت المسدسين فى مكانهما المعتاد ..

يا للمفاجأة !

شعرت بإحساس غريب .. الخوف والرهبة والقلق والحيرة والارتباك .. وضحكت .. انفجرت من الضحك .. كنت أضحك كالمجنون حتى شعرت أننى سأفقد قواى العقلية فى هذه اللحظة .. ما الذى يحدث لى بالضبط ؟!

كيف اختفيا ؟ وكيف عادا ؟ ما الذى يحدث ؟ هل أصبحت أتأثر بالمرضى الذين أعالجهم ؟ أسرنم مثلهم ؟ أعيش حياة أخرى لا أعلم عنها شيئًا ؟.. لدىَّ شخصية أخرى تفكر وتنفذ .. أقوم بأشياء وأنسى أنى قمت بها .. ذاكرتى لم تعد تعمل بكفاءة فأصبحت أنسى كل ما أقوم به .

ليتنى شغلت الكاميرا لأرى نفسى وأنا أضع المسدسين فى الدرج .. لكن للأسف الكاميرا فى العيادة .. يا للحظ اللعين !

ولكن .. ربما هذا حظ جيد .. لأنى لا أعلم ما الذى كان سيحدث لى إذا رأيت نفسى على الكاميرا وأنا أسرنم !

Looloo
www.dvd4arab.com

أعتقد أن المشهد سيكون مرعبًا .. لن أتحمل رؤيته .

هل أنا أسرنم حقًا ؟ أم إن لدىَّ شخصية أخرى هى التى تتحرك فى الوقت الآخر من حياتى ؟.. شخصية شريرة استخدمت المسدس لقتل المهندس .. إن كان قد مات حقًا .

شخصية أخرى هى التى أعادت المسدسين مكانهما .. لكن لماذا تستخدم هذه الشخصية الأخرى كاميرا لتصويرى ؟ هل تريد أن تثبت وجودها لى بالكاميرا ؟

يا إلهى !

و لكنى لم أتحرك فى الليلة التى صوِّرت فيها .. ما السبب إذن ؟

أم إن الموضوع أبسط من ذلك بكثير .. مجرد نسيان .. أنا أعيش حياتى بصورة طبيعية لكننى أنسى بعد ذلك كل ما قمت به !

لا أعلم .. أو لا أفهم ... ما الذى يحدث لى ؟ وما سببه ؟

ربما السبب هو الأزمة العاطفية الشديدة التى حدثت لى بعد زواج (نادين) .. الحمد لله على كل شىء .. من يدرى ؟ ربما كانت تحدث أشياء أسوأ من هذا .

أسوأ مما يحدث لى الآن ! لا أستطيع تخيل الصورة .. فالصورة تبدو مخيفة جدًا .

لابد أن أعالج نفسى .

سوف أذهب إلى المستشفى التى نصحت السيدة (إنعام) بها .

نعم .. هذا هو الحل .. يبدو أن حالتى سيئة .. أعصابى مرهقة وذاكرتى ضعيفة وعقلى متعب وأفكارى مشتتة وذهنى مشغول و...

لابد من الراحة !

* * *

فى المستشفى الخاص ..

عندما رأونى رحبوا بى وأعتقدوا أننى جئت للسؤال عن مريضتى السيدة (إنعام) فأخبرونى بأنها ..

ـ سليمة تمامًا .. لا يوجد لديها أى اضطرابات فى النوم .

خجلت أن أخبرهم أننى جئت للعلاج والراحة النفسية .. وليس للسؤال عن حال مريضتى ..

Looloo
www.dvd4arab.com

خرجت من هناك وأنا فى قمة الغيظ والضيق والإحباط .. كنت أريد الإقامة هناك قليلاً .. أليس من حق الأطباء أن يرتاحوا ؟! أم إن الراحة هى من حقوق المرضى فقط ؟

* * *

فى العيادة ..

قلت للسيدة (إنعام) :

ــ تقرير المستشفى يقول إن حالتك النفسية مستقرة ولا تعانين من أى اضطرابات فى النوم .

قالت بابتسامة سعادة كبيرة التهمت معظم وجهها :

ــ كنت أعلم هذا .. فالمكان هناك جميل ومريح جدًا .

قلت بحسرة ما فاته الكثير :

ــ أعلم .. أعلم .

قالت فجأة :

ــ هل هذا يعنى أننى قد شُفيت ؟

صدمتها قائلاً :

ــ لا .

ــ هل تقصد أننى مازلت أسير أثناء نومى ؟

ــ الإجابة لا .. أيضًا .

ــ ما الذى تعنيه ؟

ــ التقرير لم يفيدنى كثيرًا .. لأنه لم يستطع دراستك أثناء السرنمة .. فربما حالة نومك كانت مستقرة لأن المكان هناك يشجع على النوم المثالى .. وربما عندما تعودين لبيتك تجدين نفسك تسرنمين مرة أخرى .

ــ والحل ؟

ــ أولاً : تغيير مكان نومك .. الانتقال لغرفة أخرى من الشقة أو الى شقة أخرى إن أمكن .. أو تهيئة مكان النوم مثلاً طلاء الغرفة بألوان مريحة .. سماع موسيقى هادئة عند النوم .. تعطير الجو بروائح جميلة .. اختيار إضاءة مناسبة عند النوم .. تذكرى كل ما رأيته فى المستشفى و حاولى تنفيذه فى بيتك .. لأن جو المستشفى قد ساعدك على النوم الطبيعى .

ــ حسنًا .

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ وثانيًا : يجب دراسة حالتك فى شقتك إذا ما عادت لك حالة السرنمة .. فهناك احتمال ضئيل أنك مازلت تسرنمين .. وربما لومكثت يومًا آخر فى المستشفى لرأوك تسرنمين .. لذا يجب متابعة حالتك فى شقتك .. المشكلة أننى لا أستطيع ذلك ولا زوجك يستطيع ذلك .

ثم جاءتنى فكرة جيدة .. فتحت درج مكتبى وأخرجت الكاميرا منه وقلت لها :

ـ تفضلى .

أمسكت كاميرا الفيديوالصغيرة بين يديها وسألتنى مندهشة :

ـ ما هذا ؟

ـ هذه كاميرا فيديو حديثة .. يمكنها التسجيل لساعات طويلة .. سوف أشرح لك كيف تشغلينها قبل نومك .. لن نحتاج لأحد كى يراقبك أثناء النوم .. هذه الكاميرا سوف تقوم بالمطلوب .. وفى الصباح شاهدى ما تم تسجيله فإذا رأيت نفسك تسرنمين أحضرى الكاميرا لى .. إذا لم تجدى شيئًا سجلى مرة أخرى فى ليلة أخرى .. وهكذا .. حتى تأتى الليلة التى تسرنمى فيها .

ـ وإذا لم يحدث هذا على الإطلاق .

ابتسمت قائلاً :

ـ أتمنى ذلك .. لأنه يعنى أنك لم تعودى تسرنمين .

ـ وقتها سوف آتى لأعيد لك كاميرتك .

قلت لها بابتسامة لطيفة :

ـ بل احتفظى بها .. هدية شفائك .

تأملت الكاميرا مبهورة وقالت :

ـ أحقًا يا دكتور ؟

ـ نعم .

قالت بابتسامة كبيرة :

ـ جميل !

لا أحتاج الكاميرا فى شىء .. ولا أعرف سبب شرائى لها .. إن كنت قد اشتريتها أصلاً .. ولا أعلم كيف صورت نفسى ونسيت .. وجودها يذكرنى بما حدث ويذكرنى بأننى صرت مريضًا

Looloo
www.dvd4arab.com

نفسيًا يحتاج إلى علاج .. المشكلة أننى لا أعرف ما هى المشكلة .. هل هو نسيان ؟ أم فصام ؟ أم سرنمة ؟ أم ماذا ؟

قالت السيدة (إنعام) بسعادة :

ــ زوجى سيفرح كثيرًا بهذه الكاميرا .

فاجأتها بقولى :

ــ لا تخبرى زوجك بأمرها .

سألتنى فى شك :

ــ لماذا ؟

ــ ربما يغضب من فكرة وجود كاميرا بحجرة نومه .. فالناس عادة لا تحب أن تنام تحت وضع المراقبة .

ــ حسنًا .. سوف أخبئها بمكان بحيث تصور كل شىء وفى نفس الوقت لا يستطيع أن يلمحها (رامى) .

ــ المشكلة أنك قد تغيرين من سلوكك فى النوم نظرًا لأنك تعلمين أنك مراقَبة من الكاميرا .. وربما هذا هو نفس ما حدث فى المستشفى .. ربما لم تسرنمى هناك لأنك تعلمين أن هناك عيونًا

تراقبك أثناء نومك .. كان من الأفضل أن أعطى هذه الكاميرا لزوجك لكى يضعها دون أن تعلمى بوجودها .. فى هذه الحالة قد تسرنمين كعادتك .. لكن فى الوضع الحالى ومع علمك بوجود كاميرا هناك احتمال كبير جدًا ألا تسرنمى .

ــ أتمنى هذا .

ــ ولكننا بهذه الطريقة لن نستطيع مشاهدتك أثناء السرنمة .

قالت بذكاء :

ــ نعم .. ولكننا بهذه الطريقة نكون قد وجدنا الحل لإيقاف السرنمة .. حتى لو اضطررت لأن أضع الكاميرا بشكل يومى قبل نومى .

* * *

فى عيادة د. (صقر الشاذلى) ..

قالت السيدة (ماجدة) :

ــ أنا لست مريضة .. لقد أتيت من أجل معرفة الحلم .

قال د.(صقر) وهو يعدل نظارته فوق عينيه الخضراوين :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ لقد أخبرتكِ به .

ـ لقد أخبرنى د.(ياسين) أنك كذبت علىّ .

ـ لماذا هذا الاهتمام الشديد بأحلامكِ ؟

ـ أنت تعلم مثلى أنها ليست مجرد أحلام .

ـ حسنًا .. لماذا تريدين معرفة هذا الحلم ؟

ـ إنه حلمى وأريد معرفته .. هذا حقى .. وإن لم تخبرنى به سوف أذهب إلى خبير آخر وسأخضع لجلسة تنويم مغناطيسى مرة أخرى وسأعرف ما أريده .

ـ لهذه الدرجة تريدين المعرفة !! هل هو مجرد فضول أم هناك أسباب أخرى ؟

ـ هل ستخبرنى به أم أذهب إلى آخر غيرك ؟

ـ من تقصدين ؟

ـ لا أعرف أحدًا .. ولكن بالتأكيد هناك الكثير ممن لديهم خبرة فى هذا المجال .

قال بقلق :

ـ هذا المجال خطر جدًا .. وربما تذهبين لأحد فيستغل قدراته لإيذائك .

قالت بكل جرأة :

ـ لا يهم .. سوف أخوض التجربة وأتحمل النتائج .

ـ لا تفعلى ذلك .. سأخبرك بالحلم ولكن عدينى أولاً .

ـ أعدك بماذا ؟

ـ ألا تتدخلى فى حياة د.(ياسين) الشخصية .

ترددت قليلاً قبل أن تقول :

ـ أعدك .. عدنى أنت أنك لن تكذب بشأن الحلم .

ـ أعدكِ .

تأهبت السيدة (ماجدة) لما سيقوله د.(صقر) وقالت بلهفة كبيرة :

ـ حسنًا .. أخبرنى به .

ـ لقد حلمتِ بأن د.(ياسين) سوف يتزوج ..

Looloo
www.dvd4arab.com

وتوقف للحظات ليرى رد فعلها ولهفتها القوية لسماع بقية الجملة حتى أنها صاحت قائلة :

ــ من ؟

ــ د.(ريهام بهجت) .

هذه المرة أخبرها بالحقيقة .

* * *

فى مساء ذلك اليوم ..

كنت أقود سيارتى عندما لمحت شخصًا لا أتوقع رؤيته فى الشارع .. كان يتجه نحو سيارته الفاخرة ويركبها لتنطلق به فى الطريق المعاكس .

لم أصدق ما رأيته .. لأن هذا الرجل ــ على حد علمى ــ سجين بتهمة القتل العمد .

إنه قاتل د. (نجيب الشارودى) الطبيب الغامض .

أقصد بالطبع رجل الأعمال (وجيه أبوالدهب) الذى قُبض عليه بتهمة قتل د.(نجيب) .. هذا الرجل الثرى الذى يعانى من

هوس السرقة kleptomania ولهذا ذهب للطبيب الساحر لكى يعالجه من هوسه .

توصلنا لمعرفة أنه القاتل عن طريق حلم السيدة (ماجدة) .. فقد رأت مشهد القتل فى المنام .. وأدلت بأوصاف القاتل لنا .. فأخبرتنا الآنسة (شيرين) الممرضة أن هذه الأوصاف تنطبق على شخص واحد هو (وجيه أبوالدهب) .

أبلغنا الشرطة بشكوكنا .. وأثناء تفتيش فيلته تم العثور على دفتر المرضى وهذا دليل كاف ضده .. ولهذا تمت تبرئة د.(مجدى) صديقى الذى كان متهمًا فى جريمة القتل(*) .

فكيف أرى القاتل الآن يركب سيارته بدلاً من ركوب سيارة السجن ؟

كيف ؟

* * *

(*) لمزيد من التفاصيل راجع (حالة اشتباه) .

Looloo
www.dvd4arab.com

15 ـ مفاجآت ..

قلت لجارتى د.(ريهام) وأنا أجلس معها فى عيادتها ليلاً .. بعد خروج المرضى :

ـ لقد وجدت المسدسين .

قالت بسعادة :

ـ الحمد لله .. أعتقد أنك سعيد الآن بعثورك عليهما .. أين كانا ؟.. على فكرة أنا توقعت هذا .. توقعت أنك وضعتهما فى مكان آخر ونسيت .. وسوف تتذكر المكان وتجدهما فيه .. وسوف يحدث نفس الشىء بالنسبة للكاميرا .. ستتذكر متى اشتريتها أو من أحضرها لك أو ..

توقفت عن إكمال جملتها عندما رأتنى أضحك ضحكة حزينة وأقول :

ـ لم يحدث شىء من توقعاتك .. لقد وجدتهما فى نفس المكان .

ـ ما الذى تعنيه ؟

ـ مثلما اختفيا .. مثلما عادا .

ـ والكاميرا ؟

ـ ماذا عنها ؟

ـ ألم تتذكر شيئًا بخصوصها ؟

ـ لا .. أبدًا .

قالت لى وهى تحاول التفكير والوصول لحل هذه المشكلة :

ـ لابد من تفسير .

قلت مستسلمًا :

ـ التفسير موجود ولكننا لا نريد الاعتراف به .

ـ لا تقل أنك تسير أثناء نومك .

ـ هذا احتمال .. الاحتمال الثانى (Schizophrenia) .

ـ هناك احتمالات أخرى غير السرنمة والفصام .

قلت بضيق :

ـ أعتقد أنها ستكون أسوأ .

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ ليس بالضرورة .

سألتنى فجأة :

ـ هل تشرب كحوليات أو تتناول ...

ثم بترت سؤالها عندما رأت نظراتى فقالت :

ـ آسفة إن كنت ..

ـ لا عليك .. أنا معتاد على هذه الأسئلة .. ولكنى اعتدت أن أسألها .. لا أن أجيب عنها .

ثم تذكرت شيئًا .. قلت لها :

ـ أتعلمين من رأيت اليوم ؟

قالت بسرعة :

ـ المهندس (عزيز) ؟

ـ ياريت .. كنت سأعلم وقتها أنى لم أقتله .

قالت بحدة :

ـ أنت لم تقتله .. لقد تحريت وتأكدت أنه على قيد الحياة .

ـ أتمنى ذلك .

قالت بابتسامة جذابة :

ـ ألا تثق فى مصادرى ؟

لم أجبها .. فقط أخبرتها :

ـ لقد رأيت (وجيه أبوالدهب) .

* * *

فى صباح اليوم التالى ..

ذهبت إلى قسم الشرطة لأعرف الحقيقة ..

علمت هناك أن (وجيه أبوالدهب) أثبت براءته من تهمة قتل د.(نجيب) .. لأن لديه حجة قوية وشهودًا أقروا بأنه كان معهم فى مكان آخر وقت حدوث الجريمة .

أما تهمة سرقة دفتر المرضى .. لم أسأل عنها من الأساس .. فالرجل ثرى جدًا والدفتر ليس مالاً أو ذهبًا وليس دفتر شيكات .. وهو ليس لصًا لكنه مريض بهوس السرقة .

الدفتر كان دليلاً قويًا على جريمة القتل .. كأن تجد نظارة القتيل عند القاتل .. النظارة تعتبر دليلاً على جريمة القتل .. لكن لا يمكن أن نتهم القاتل بسرقة النظارة .

Looloo
www.dvd4arab.com

اعترف (وجيه) بهَوَسه وأعترف أن د. (نجيب) قد عالجه وأعترف أنه سرق الدفتر لكنه لم يعترف بجريمة القتل .. يبدو أن المعلومات التى وصلتنى من قبل كانت من خيال أحدهم .

ولكن .. إذا كان (وجيه أبوالدهب) قد نال براءته من تهمة القتل فهل سيقبضوا على صديقى د.(مجدى) مرة أخرى ؟!

قال الضابط :

ــ لقد قبضنا على القاتل .

ــ حقًا ؟

ــ نعم .. ولقد اعترف بجريمته .

ــ من هو ؟

وأخبرونى باسمه ولكنى لا أستطيع تذكر الاسم الآن لأنه من الأسماء سهلة النسيان .. يشبه أسماء رجال العصابات فى الأفلام العربية القديمة ..

لكنى أتذكر شكله جيدًا .. فلقد رأيت صورته .. ويمكننى القول بضمير مستريح أنه لا يشبه (وجيه أبوالدهب) فى شىء .

وهذا يعنى أن أحلام السيدة (ماجدة) لا تتحقق .

على أى حال .. ما يهمنى فى هذا الموضوع هو أن صديقى د.(مجدى) بعيدًا عن القضبان .. سواء كان (وجيه أبوالدهب) هو القاتل أو شخصًا آخر غيره .. وطالما أن القاتل قد اعترف بجريمته فهو القاتل فعلاً .. الاعتراف سيد الأدلة كما تعلمون .

لقد تحريت عن جريمة قتل د.(نجيب) فى قسم الشرطة ولم أتحرى بالمثل عن جريمة قتل المهندس (عزيز) لأنى خشيت من إثارة الشكوك حولى إذا تحريت عنها .

* * *

فى العيادة ..

قال (وائل) :

ــ جاء بعض المرضى وانصرفوا عندما تأخرت .

ــ مثل من ؟

ــ مثل الأستاذ (جلال) والسيدة (إنعام) و...

ــ الأستاذ (جلال) انصرف !!.. حسنًا .. حاول الاتصال به وأخبره أننى فى العيادة الآن .

ربما أحكى لكم حكايته يومًا ما فى رواية أخرى ..

Looloo
www.dvd4arab.com

سألته :

ـ هل أعطتك السيدة (إنعام) شيئًا ؟

ـ نعم .. كنت سأخبرك الآن .. لقد أعطتنى هذه .

وأخرج كاميرا الفيديومن درج مكتبه وأعطاها لى .

ـ انصرفت هى أيضًا !

ـ نعـم .

إن وجود الكاميرا هنا يعنى أنها شاهدت نفسها وهى تسرنم .. لأنى طلبت منها إحضارها فى هذه الحالة فقط .

ـ ألم تقل لك شيئًا وهى تعطيك الكاميرا ؟

ـ قالت أنها لم تستطع تشغيلها .. قالت أنها سجلت ليلة أمس لكنها لم تستطع مشاهدة ما سجلته .. و جاءت اليوم لتفهم منك كيفية تشغيلها .. لأنها تعتقد أنها مسحت ما سجلته أو لم تسجل من الأساس .

ضحكت قائلاً :

ـ الآن فهمت .

ربما أشغلها الآن وأكتشف أنها لم تسجل أى شىء .. سـألنى (وائل) :

ـ هل أتصل بها ؟

ـ لا .. ليس الآن .. لا تشغل بالك .. سوف أتصل أنا بها بعد المشاهدة .

سألنى (وائل) فى فضول مقيت :

ـ ماذا كانت تسجل ؟ مباراة الأهلى ؟

ـ ليس هذا شأنك .

وقبل أن أدخل غرفتى .. فوجئت به يقول :

ـ هناك من سأل عليك ..

ـ من ؟

ـ المهندس (عزيز) .

التفت له وسألته بابتسامة صغيرة :

ـ المهندس (عزيز شعبان) ؟

ـ نعـم .

Looloo
www.dvd4arab.com

سألته بابتسامة كبيرة :

ـ كان هنا ؟

ـ نعـم .

ـ رأيته بنفسك ؟

ـ نعـم .

قبلت (وائل) بسعادة وقلت له :

ـ شكرًا .

* * *

المهندس (عزيز شعبان) على قيد الحياة ..

هذا يعنى أن الخبر المنشور كان عن شخص له نفس الاسـم ونفس المهنة .. تشابه أسماء ومهن .

لقد اطمأن قلبى الآن .. كنت أعتقد أن د.(ريهام) تكذب مـن أجل تهدئة أعصابى .

ولكن .. إذا كان زوج (نادين) لم يمت .. فمن قتلت إذن ؟

ربما لم أقتـل أحـدًا .. ربما أخفيت المسدسين ثم أعـدتهما لمكانهما .. هذا كل ما فى الأمر .

قمت بتشغيل كاميرا الفيديو لأشاهد ما قامت السيدة (إنعـام) بتسجيله .

الصورة واضحة .. ها هى غرفة النوم أمامى .. لقد نجحـت السيدة (إنعام) فى التسجيل .

والصوت أيضًا واضح ..

التسجيل تم على أعلى مستوى ..

ثم رأيت .....

.....

.....

.....

ما هذا ؟

لا يمكن أبدًا !

لا أصدق ما أراه !

Looloo
www.dvd4arab.com

يا للمفاجأة !

الآن فهمت ..

الآن عرفت ..

لا أتصور ما يحدث أمامى على الشاشة .. هل هذا معقول ؟

الآن عرفت سر انتقال جسد السيدة (إنعام) إلى الغرف الأخرى ..

الآن فهمت سر الخطوات الكثيرة ..

و سر صرير الأبواب ..

ارتعش جسدى وأنا أرى المنظر .. لم يخطر ببالى قط ما أشاهده .

ثم دق جرس الهاتف ..

أتمنى أن تكون السيدة (إنعام) .. لأخبرها بالحقيقة المفزعة .

* * *

16 ـ آلـــو ..

رفعت السماعة و...

ـ آلـو .

ـ آلـو .. أنا د. (ريهام) .

ـ أهلاً وسهلاً .. الحمد لله أنا بخير .. شكرًا على السؤال .

ـ انتظر .. لقد كنت أتصل بك لأخبرك أن المهندس (عزيز) هنا .

سألتها متعجبًا :

ـ أين ؟

ـ هنا فى عيادتى .. لقد طرق باب شقتك كثيرًا .. فأخبرته (شيرين) أنك بالخارج .. فدخل عيادتى وعرّفنى بنفسه فعرفت على الفور أنه زوج (نادين) .. هذه هى أول مرة أراه فيها .

سألتها بغضب :

ـ ماذا يفعل عندك ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ يقول أنه يريد مقابلتك ولهذا ذهب إلى عيادتك وإلى المستشفى .. لكنه لم يجدك .. فجاء إلى شقتك .

ـ ألم يخبرك عن سبب هذه الزيارة ؟

ـ لا .. ولكنه قال إنه مستعد لانتظارك هنا فى عيادتى حتى تأتى .

فكرت قليلاً ثم تذكرت الحلم ..

يبدو أن الحلم على وشك الحدوث .. سوف نجلس فى شقتى .. والمسدسين موجودين الآن فى درج المكتب .. ودوافع الجريمة موجودة .. والشيطان شاطر .

قلت لها عبر الهاتف :

ـ أخبريه أنى أنتظره فى عيادتى .. لا أقابل أحدًا خارجها .

ـ لماذا ؟

ـ بصراحة .. أخشى أن يتحقق الحلم .

ـ أى حلم ؟!

ـ حلم القتل .

ـ لماذا تفكر بهذه الطريقة ؟ ألا تستطيع منع نفسك من قتله ؟

ـ أنا لم أقل أنى سأقتله .

ـ ماذا إذن ؟

ـ لا أعلم .. ولكن وجود المسدسين فى شقتى يجعلنى أخاف من ..

قاطعتنى قائلة :

ـ ألم تتخلص بعد من هذين المسدسين ؟

ـ للأسف .

ـ يبدو أنك ستظل محتفظًا بهما حتى يورطاك فى جريمة .

ـ أعدك أنى سأتخلص منهما .. المهم أخبريه الآن بما قلته لك .. إذا أراد مقابلتى فليأت للعيادة .. أنا فى انتظاره هنا .

* * *

اتصلت بالسيدة (إنعام) و...

ـ آلو .

ـ آلو .. من ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ أنا د. (ياسين) .

ـ أهلاً يا دكتور .. كيف حالك ؟

ـ الحمد لله .

ـ لقد تركت الكاميرا مع (وائل) .. لم أستطع تشغيلها لأشاهد ما سجلته .. وربما لم أستطع التسجيل .. وهناك احتمال انى مسحت ما سجلته .

ـ اسمعينى جيدًا .

ـ نعم .

ـ احضرى حالاً .

ـ الآن ؟

ـ نعم .. وأحضرى زوجكِ معكِ .. لا تأتى إلا معه .. لا تتركيه وحده بالشقة .

ـ خيرًا يا دكتور ؟

ـ عندما تأتى ستعرفين .

* * *

أخبرنى (وائل) أن السيدة (إنعام) بالخارج مع زوجها فطلبت منه أن يخبرهما أننى أريد رؤية السيدة (إنعام) وحدها فقط فى البداية .

بعد لحظات دخلت وعلى وجهها تعبيرات القلق الشديد وسألتنى دون أن تلقى السلام :

ـ خيرًا يا دكتور .

ـ استريحى .

جلست على المقعد أمام مكتبى فقلت لها :

ـ لا أعرف كيف أخبركِ بما علمته ..

ـ خيرًا يا دكتور .. أرجوك تكلم .

ـ حسنًا .. لن أتكلم .. سوف تشاهدين بنفسكِ وأرجو أن تتحمل أعصابكِ ما سوف تشاهدينه .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

17 ـ جريمة مصورة ..

شغلت الكاميرا فبدأت تعرض الصورة على شاشتها الصغيرة .. قلت للسيدة (إنعام) :

ـ هذا هو ما سجلته بالأمس .. من الواضح أنك قمت بالتسجيل على نحو جيد .. واخترت مكانًا لا يستطيع أن يلمحه أحد .. ويبدو أنك لم تخبرى زوجك بوجود كاميرا فى غرفة نومه .

قالت وعيناها مسلطة على الشاشة بتركيز شديد :

ـ نعم .. لم أخبره .

كانت الشاشة تعرض صورة غرفة النوم من زاوية علوية .. رأت السيدة (إنعام) نفسها على الشاشة وهى تخرج من الغرفة بعد أن وضعت الكاميرا وبدأت التسجيل .. بعد قليل دخل زوجها وأخرج علبة دواء من مكان خفى لا يظهر على الشاشة .. ثم أسقط بعض الحبوب فى يده ثم أعاد العلبة لمكانها و خرج .

على الشاشة .. دخلت السيدة (إنعام) بعد قليل وهى تشرب كوب العصير الذى بيدها .. ابتسمت للكاميرا ابتسامة كبيرة

ولوّحت لها .. ورفعت الكوب كأنها تقول (تفضل) .. ثم اتجهت الى السرير لتنام نومًا عميقًا .

ثم حدث ما لم يتوقعه أحدنا ..

بعد قليل .. دخل زوجها وأطمأن إلى أنها نائمة .. ثم حملها بذراعيه و خرج من الغرفة .

نظرت إليها لأرى رد فعلها عندما شاهدت هذا المشهد الغريب .. قالت وعيناها لا تفارقان الشاشة :

ـ ما هذا ؟ لماذا فعل هذا ؟ إلى أين يأخذنى ؟

ـ ربما إلى غرفة ابنك .. أو إلى المطبخ .. أو إلى الحمام .. فى البانيو .. أو أى مكان يريده .

ـ لماذا ؟ لماذا يفعل هذا ؟

ـ ستعرفين بعد قليل .

كانت تنظر إلى الشاشة مندهشة عندما قالت :

ـ هل هذا يعنى أننى لا أسير أثناء نومى وأنه هو الذى كان يحملنى لهذه الأماكن ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

لم أرد .. لأنى شعرت أنها لا تحتاج إلى إجابة .. لقد فهمت كل شيء مما تشاهده على الشاشة .. هى فقط لا تصدق الحقيقة .. الحقيقة المُرة .

تابعت قائلة :

ــ كان يضع لى حبوب منومة فى العصير حتى لا أستيقظ طوال الليل .. لماذا ؟

ثم سمعنا صوت باب يُفتح ثم يُغلق .. فقلت لها :

ــ هذا هو صوت الأبواب التى يقول الجيران أنهم يسمعونها ليلاً .

ــ أنا لا أفهم شيئًا .. لماذا يفعل هذا ؟.. من الذين يستقبلهم فى هذه الساعة ؟

ــ ستعرفين الآن .

ظهرت على الشاشة امرأة جميلة تدخل الغرفة برشاقة و دلال تتأبط ذراع (رامى) زوج السيدة (إنعام) .

نهضت الأخيرة من مقعدها مذهولة وهى لا تصدق ما تراه على الشاشة وصاحت بكلمة واحدة :

ــ (أمينة) !!!!

ــ (أمينة) من ؟

ــ (أمينة) جارتنا .

شاهدت زوجها يقبل (أمينة) جارتهما على وجنتيها .. هذا فى البداية قبل أن تصل القبلات إلى أماكن أخرى كثيرة .

نظرت إلى تعبيرات وجهها التى تجمع بين الدهشة والتعجب والذهول والغضب والمقت والكراهية .. فجأة تكتشف خيانة زوجها بعد سنوات طويلة من الحياة الزوجية والحب والعطاء والوفاء والاعتقاد بأن زوجها يحبها حبًا جمًا ولا يمكن أن يخونها أبدا .. الآن تشاهد جريمة خيانته بالصوت والصورة .

سألتها :

ــ هل (أمينة) هذه هى التى قالت أنها رأتك خارج الشقة وتكلمت معك ولكنك لم تردى عليها .

هزت رأسها إيجابًا .. قلت لها :

ــ إنها الشاهدة الوحيدة على السرنمة .. قالت ذلك لتؤكد الموضوع .. حتى لا تشكين فى شيء آخر .

Looloo
www.dvd4arab.com

كانت تتابع ما يحدث أمامها على الشاشة .. تحاول أن تكذّب عينيها لكنها لا تستطيع .. تحاول أن تدافع عن زوجها لكنها لا تستطيع .. لقد أعطت نفسها دليلاً قويًا على خيانة زوجها .. الصدفة التى جعلتها تكتشف ذلك .. الكاميرا التى لا أعلم كيف وصلتنى هى التى جعلتها تكتشف الخيانة ..

الكاميرا التى ظهرت فجأة فى شقتى و جعلتنى أشك أنى أسرنم هى نفسها الكاميرا التى أظهرت أن السيدة (إنعام) لا تسرنم .

قلت لها :

ــ يبدو أنه لم يجد سوى شقتكما لتكون مكان اللقاء .. وحتى الآن لا أعلم هل هى زوجته أم لا ؟

قالت السيدة (إنعام) و جسدها يرتجف من الكلمة :

ــ زوجته !!

ــ احتمال كبير أن تكون زوجته .. هل هى تعيش بمفردها ؟

ــ لا .. معها أمها .

قلت لها محاولاً تخمين ما حدث :

ــ بالتأكيد معها أحد .. وإلا كان اللقاء فى شقتها أسهل .. ولهذا فكر فى تنويمك حتى يستطيع فعل ما يريده دون أن تعلمى .. كان يمكن أن يستخدم غرفة أخرى .. مثلاً غرفة ابنك .. ولكن لأسباب معينة استخدما غرفة نومكما .. ربما هى التى طلبت هذا .. أو ربما هو الذى رفض غرفة ابنكما .. المهم أنهما اختارا هذه الغرفة بالذات فواجهتهما مشكلة تواجدك بها فقررا نقلك لغرفة أخرى ولتكن غرفة ابنك .. وقبل استيقاظك يعيدك لمكان نومك الأصلى .. ولكن يبدو أنه قد نسى فى إحدى المرات إعادتك .. أو ربما أنت استيقظت قبلها فاكتشفت وجودك فى مكان آخر .. فخمنت أنك تسيرين أثناء نومك .. وهذا ما حدث منذ شهر .. ربما كانا يتقابلان قبل ذلك بمدة كبيرة أوربما حدث هذا بعد ليلتهما الأولى .. المهم أنه لم يحاول تبرير ما حدث لك فأنت أعطيته المبرر المنطقى (السرنمة) .. أعتقد أنه استمتع بتبريرك لأنه فى هذه الحالة يمكن أن يتركك للصباح فى المكان الآخر .. ولهذا كله لم يكن مهتمًا بعلاجك من السرنمة .. لأنه يعلم جيدًا أنك لا تسرنمين .. بعد ذلك قرر أن يؤكد الموضوع عندك حتى لا تشكين فى الأمر فأصبح يضعك فى المطبخ أو الحمام حتى تدركى أن المسألة تتعلق بالسرنمة فعلاً .. واتفق مع

www.dvd4arab.com

(أمينة) أن تكذب عليك فى مسألة خروجك ليلاً وتحدثها معك .. أما بقية الجيران فهم صادقين .. إنهم يسمعون الأصوات الناتجة عن خروج (أمينة) من شقتها وذهابها لشقتك ثم عودتها مرة أخرى لشقتها فى آخر الليل .. أما أنت فلم تخرجى من شقتك .. كنت تنامين فى أماكن كثيرة داخلها .. وعندما طلبت من زوجك السماح لك بالمبيت فى المستشفى من أجل العلاج فرح كثيرًا ولم يظهر لك فرحته .. فى هذه الليالى لم يضطر إلى استخدام حبوب منومة .. وربما استخدم الشقة فى النهار أيضًا .

التفت إلى الكاميرا .. فضغطت زر الإيقاف على الفور وقلت :

ــ هذا يكفى .

التفتت لى فشعرت بما يجول فى صدرها عندما رأيت نظرات عينيها .. قلت لها :

ــ زوجك بالخارج .

فوجئت بها تنتزع حذائها بسرعة وتخرج من الغرفة تصيح بأعلى صوتها :

ــ يا خاااااااااااااائن .

خرجت من الغرفة وراءها لأرى ما سيحدث .. كانت تضرب زوجها (رامى) بحذائها وهو لا يستطيع الدفاع عن نفسه ويسألها متعجبًا :

ــ ما الذى تفعلينه يا (.....) ؟

تستمر فى تلقينه درسًا قاسيًا وهى تقول :

ــ تخوننى مع (أمينة) ؟

نظر لها بدهشة كبيرة .. لابد أنه لم يتوقع أن تعلم زوجته بهذه الحقيقة .. على الأقل لن تعلمها هنا .

فر من أمامها فى أقل من ثانية وهبط الدرج بأقصى سرعته .. أما هى فقد خرجت خلفه و حذاؤها يسبقها نحوه ..

لا أعلم السبب الحقيقى وراء ما فعلته .. هذه ليست طبيعتى ولو أننى فى زمن آخر لتصرفت تصرفًا آخر .. ربما اتصلت فقط بزوجها لأفهم منه الأمر وأعرف هل (أمينة) زوجته أم لا .. فإن كانت زوجته نصحته بمصارحة زوجته الأولى (إنعام) بحقيقة زواجه الثانى .. وإن لم تكن زوجته نصحته بالابتعاد عنها تمامًا .. وربما أنصح زوجته الأولى بالاهتمام به أكثر حتى لا ينظر لواحدة أخرى غيرها أو يتزوج .

Looloo
www.dvd4arab.com

هنـاك احتمالات أخـرى .. ربما كنت أتصل بالزوجـة فقـط وأخبرها بما فعله زوجها وأترك لها حرية التصرف فى الأمر .. إما بالعيش معـه دون مصـارحته والرضـاء بالأمر الواقع .. أو التظاهر بأنها شربت العصير حتى يتم اللقـاء العـاطفى ثـم تفاجئ العاشقان وتواجههما أو تفضحهما أمام الجيران .

أما ما فعلته فى ذلك اليوم هو حالة غريبة .. شعرت أننى أريد أن أرى الجزاء بنفسى .. جزاء الخيانة .. ربما لأننـى عانيـت كثيرًا فى الأيام الماضية بسبب الخيانة .. أعلم أن (نادين) لـم تخوننى ولكنها تزوجت من آخر غيرى .. ما الـذى يمكـن أن أفعله ؟ ما الذى يمكن أن أقوله ؟ لم أستطع فعل شىء ..

ربما لهذا اتصلت و طلبت حـضور الـزوجين معًـا .. لقـد استمتعت برؤية (رامى) وهو ينال جزاءه على يد زوجته التى أخلصت فى حبها له .. لم أهتم بالمرضى الـذين هربـوا عنـد رؤيتهم الأحذية الطائرة .. جميعهم خرجوا مذعورين من العيادة عدا واحد فقط هو الذى شق طريقه للداخل .

هو المهندس (عزيز شعبان) الذى وصل إلى عيـادتى فـى نفس اللحظة .. ورأى المشهد .. (سيدة أنيقة تحـاول ضـرب

رجل بحذائها) .. أفسح لهما الطريق ليخرجـا مـن العيـادة .. تمنيت أن ينال ضربة من الحذاء .. مثل (رامى) .

يبدو أنه تأكد فى هذه اللحظة أن توقعاته كانت فى محلهـا .. وربما تخيل خروج مريض مـن إحـدى الغـرف وهـو يغنـى (ناولونى الولاعة .. عايز أولع روما بحالها) .

كانت هذه هى المرة الثانية التى أراه فيهـا فـى عيـادتى .. شعرت برغبة شديدة فى إلقائه من النافذة وتمنيـت لـو كانـت عيادتى فى الدور التسعين .

طردت أفكارى الحالمة السعيدة من ذهنى ورسـمت ابتـسامة تنافس ابتسامة الموناليزا وقلت له مادًا يـدى نحـوه بترحـاب مصطنع :

ــ تفضل .

تمنيت أن تنبت لى سكاكين فى يدى فأمزق بها من أريد وقتما أريد .

رأيته يتلفت حوله بتوتر وقلق و خوف .. يبدو أنه يخشى أن يفاجئه أحد بصفعة قوية على قفاه .. أو يتوقع رؤية حذاء طائر

www.dvd4arab.com

فى سماء الغرفة يندفع نحو وجهه بسرعة صاروخية .. فى الواقع كنت مستمتعًا جدًا برؤيته خائفًا وتمنيت أن تتحقق مخاوفه .

* * *

ما الذى قاله المهندس (عزيز شعبان) لى ؟ ما الأمر الذى أرادنى من أجله ؟ وهل لهذا الأمر علاقة بـ (نادين) ؟ هذه أسئلة كثيرة لا يتسع المجال للإجابة عنها الآن .

سنجيب عنها فى حالة أخرى ..

حالة خاصة جدًا

جدًا جدًا

جدًا

* * *

18 ـ المكالمة الأخيرة ..

انطلق رنين الهاتف يشق سكون الليل وأيقظ الآنسة (شيرين) من نومها .. نهضت من سريرها مذعورة ورفعت السماعة وقالت :

ـ آلو .

ـ آلو .. ما هى آخر الأخبار ؟

ـ كان خطأ كبيرًا عندما أخذتم المسدسين .

ـ نحن لا نخطئ .. كل خطوة مدروسة .

ـ قد أفهم مسألة أخذ المسدسين .. لكنى لا أفهم سبب إعادتهما له .

ـ لا تسألى كثيرًا .. نحن نسأل فقط وأنتى تجيبين .. هل شك فى شىء ؟

ـ لا .. هو يعتقد أنه يسير أثناء نومه .

ـ والكاميرا ؟

ـ هذا خطأ آخر .. أعلم أنكم لا تخطئون ولكنى أراه خطأ لأنى لا أفهم السبب .

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ من الأفضل لكِ ألا تفهمى .. عليكِ تنفيذ المطلوب منكِ وفقط .

ـ أنا أتساءل فقط .. لماذا لم تستخدموا كاميرا صغيرة جدًّا وأنا أعلم أن لديكم إمكانيات هائلة فى التجسس .. لماذا استخدمتم كاميرا يمكن كشفها بسهولة ؟

ـ نحن أردنا ذلك .

ـ لا أفهم .

ـ ألم أقل لكِ من الأفضل ألا تفهمى ؟.. مهمتكِ هى مراقبته فقط .

ـ ومتى تنتهى هذه المراقبة ؟ لقد مللت من العمل عند هذه الطبيبة الغبية .

ـ كان لابد أن تعملى عندها طالما أنك فشلت فى الحصول على عمل فى عيادته .. أخبرينى هل شكّ فيكِ .

ـ لا طبعًا .. بل إنه يعتقد أنى سعيدة بالعمل عند هذه الطبيبة المبتدئة .

ـ من الجميل أنه هو الذى عرض عليكِ هذا العمل حتى لا يشك فى الأمر .

ـ متى ستخبرونه ؟

ـ عندما نتأكد أنه مستعد .

ـ ومتى هذا ؟

ـ قريبًا جدًّا .

ـ وماذا عن (وجيه أبوالدهب) ؟

ـ لا تقلقى .. قمنا بعمل اللازم .. لقد أحسنت صنعًا عندما أخبرتنا بالأمر .

ـ هل تعتقد أن الأسطورة ستعود للحياة مرة أخرى ؟

ـ ..... .

* * *

تمت بحمد الله

لمراسلة المؤلف ..

بالبريد الإلكترونى على ...

halat_khasa@yahoo.com

Looloo
www.dvd4arab.com

حالات خاصة

مذكرات طبيب نفسى .
يصارع للحفاظ على حياته .
والحفاظ على سلامة عقله .

محمد رضا عبد الله

حالة السائرين نيامًا

- ما هذا يا د. (ياسين) ؟

- هذا هو الدليل على أننى أسير أثناء نومى يا د . (ريهـام) !

العدد القادم

حالة النصف الأخر

الثمن فى مصر 500
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية